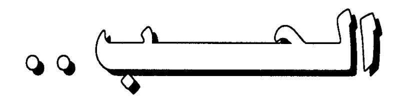


لسلامة صحتك :



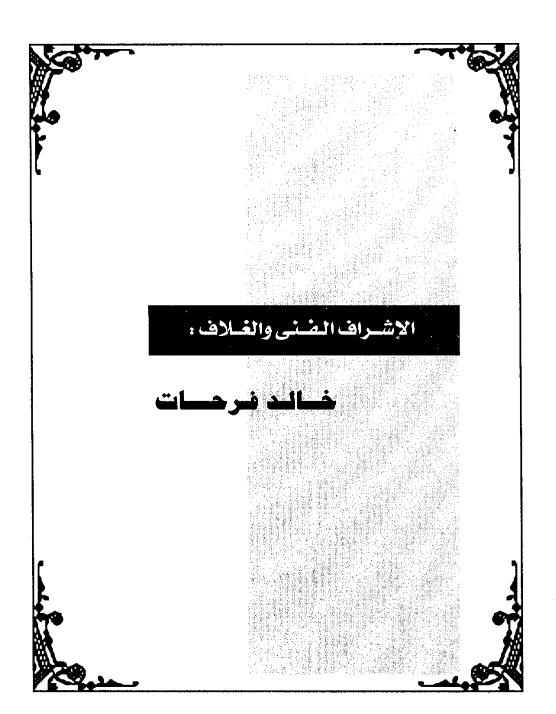
الحب .. أحسن دواء



بقلم الدكتور :

عادل صادق

أستاذ ورئيس قسم الطب النفسى
بكلية الطب - جامعة عين شمس


الإشـراف الفـنى والغـلاف :
خـالد فرحـات

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب
اليوم
الطبى

يوليو ٢٠٠١
□ العدد ٢٣٢ □

أسعار كتاب اليوم الطبي في الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	٢٥	درهم
لبنان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢,٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٥٠٠	دينار
السعودية	١٢	ريال
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢,٧٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمان	١,٢٥٠	ريال
غزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنية	٢٠٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٢	درهم
قطر	١٢	ريال
انجلترا	٢,٥٠	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٥	دولار

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكتروني
akhbar@akhbarelyom. org

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولارا
أوربا وأمريكا ٣٩ دولارا
أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا
٤٩ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة
القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠
● تلكس دولى : ٢٠٣٢١
● تلكس محلى : ٢٨٢
● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة
● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

فى هذا الكتاب

الصفحة

الصفحة

عن الحب والصحة

هذا كتاب طبى .. إذن ليس غريباً أن يكون موضوعه عن الحب .. فالعلاقة وثيقة بين الصحة والحب .. فالصحة ليست الخلو من المرض ولكن الصحة هى السعادة والأمن النفسى .. والمصدر الأساسى للسعادة هو الحب .. والمصدر الأساسى للأمن النفسى هو الحب .. وتلك غاية الإنسان من الحياة : السعادة والأمن النفسى .

والسعادة هى حالة من السرور والرضا .. والأمن النفسى هو حالة من الوثوق والسيطرة على الخوف والتحكم فى الذات .. وكلاهما أى كل من السعادة والأمن النفسى يجعلان الإنسان يشعر بالاكتمال .. والاكتمال هو شعور عظيم .. شعور بالتوافق والانسجام توافق وانسجام بين مكونات الإنسان الثلاثة : الروح والنفس والجسد.

فيشعر الإنسان أنه وحدة واحدة .. وبذلك تتحقق أكثر درجات الإنسـانيـة .. أى الإنسـان الكلى المتكامل المتـمـاسك .. توافق وانسـجام إلى حد الالتحـام بين الروح والنفس والجسد .. إنها الألفة مع النفس .. إنه الشعور بالذات .. ويُترجم ذلك لفظياً فى كلمـة أنا .. فـحـينمـا تقـول « أنا » فـإنك تشـعـر بهـذا الأنا .. تعرفه .. تألفه . لا تنظر إليه وكأنه يقع أمام عينيك ولكن تشعره داخلك .. وحـين توجـد « أنا » يوجـد الآخـر . أنا والآخـر .. أنا وأنت .. وبذلك يكتمل الإنسـان فـوق اكتـمـاله .. يكتـمل أولاً مع نفسه ثم يكتمل مرة ثانية بالآخر .. أى قمة السعادة وقمة الأمن النفـسى .. ولكن بشـرط أن تكون العـلاقـة مع الآخـر هى عـلاقـة حب .. ولذا فـأنت تكون فى أروع حـالاتك وأنت تقـول للآخـر أنا أحبك .. قمة الإحسـاس بالذات وقمة التكامل الداخلى بين الروح والنفس والجسد وقمـة التكامل بـالإنسان الآخر .. قـمة الشـعور باللذة والنشوة والانسجام والسرور والرضا والطمأنينة ..

وبعد أن يتحقق لك هذا الشعور القوى بالذات والشعور المؤكد بالإنسان الآخر فإنك تشعر بموقعك فى هذا الكون . وتستطيع أن ترى أبعـاد وأطراف الكون بوضـوح .. بانوراما كـونية .. وتنجلى لك الأسرار وتسبر الأغوار ويعمق الفهم .. وما أروع متعة الفهم والإحاطة والكشف .. وبذا تمتلك الناصيتين .. إبصار وبصيرة .. رؤية الخارج ورؤية الداخل معاً .

فى هـذه الحـالة تشـعـر بحـسن الحـال الناتج عن الإيقـاع المنتظم لأجهزة الجسم المختلفة وانسجامها مع بعضها البعض وهى أعلى درجة فى الصحة الجسدية .. ثم تشعر بالصفاء والتـواصل وهى أعلى درجـة فى الصـحـة الروحـيـة ثم تشـعـر بانسـجـام فكرك مع وجـدانك وإدراكك وانسـجـام كل ذلك مع سلوكك وردود أفعالك وهى أعلى درجة فى الصحة النفسية .

وببساطة شديدة منك وبدون أى عناء أو بذل مجهود تشعر بانسجام روحك مع نفسك ومع جسدك .. كل يؤثر فى الآخر لأنه جزء من الآخر .. إنه شىء مثل الانسجام الفسيولوجى الذى يحدث بين حركة القلب والرئة والكبد والكلى .. إيقاع منتظم من كل عضو ينسجم بنسق وتتابع معين مع الإيقاع الصادر عن بقية الأجهزة الأخرى .

وهذا هو المعنى الحقيقى للصحة ..

الصـحـة هى انتظام الإيقاع .. هى الانسجام .. هى النسق البـديع هى الشكل الجـمـيل .. هى البـاطن القـوى .. هى الأنا المتـحـدة روحـاً ونفـسـاً وجـسـداً . وهى القـدرة على التـواصل العاطفى مع الآخر .

إذن الصحة ليست الخلو من المرض الصحة .. الصحة أبعد من ذلك .. ولذا فالإنسان قد يشعر بغاية الصحة وهو ضرير أو وهو مبتور اليد أو فاقد للنطق والسمع ..

نطالع هؤلاء الناس وهم فى غاية السعادة رغم قصورهم الصحى ويشعرون بالأمن النفسى رغم عجزهم الواضح أو رغم اختلافهم عن بقية الناس .. إذن المرض فى حد ذاته ليس معوقا وإنما الإعاقة تأتى من التفسخ الذى يصيب الوحدة الإنسانية فتتطاير متناثرة الروح والنفس والجسد ، لشظايا ليس لها علاقة ببعضها البعض .

هذا هو المرض .. ودواؤه الحب .. فأحبوا تصحوا .

قلوب لا تعرف الحب

وهناك قلوب لا تعرف الحب .. قلوب كالحجارة أو أشد قسوة .. هكذا بعض البشر .. وهم الطغاة العتاة المجرمون .. يقتلون يسرقون يخدعون يغشون .. لا تتوقع منهم إلا الإيذاء والضرر والألم .. يصدرون القلق والخوف والفزع ويجعلون للحياة طعماً مراً . يتسمون بالقسوة والعدوانية ويمتلئون شراً وحنقاً وعداوة .. تشعر بأن الهواء ثقيل وأنت تجلس معهم يدخل بصعوبة إلى رئتك وكأن شيئا ثقيلاً يجثم على صدرك وتود لو أن تفر منهم . والبعد عنهم نجاة والاقتراب منهم ضرر وشقاء .. والأفضل أن تتحاشاه .. تتجنبه .. إنه معاملاتك معه .. هو لايصلح لعلاقات إنسانية سوية فهو يأخذ ولا يعطى .. أنانى .. جشع .. طماع .. أنت بالنسبة له وسيلة لتحقيق أهدافه ..

يستعمل الناس ثم يدوس عليهم .. يستغلهم .. يستنفد طاقاتهم .. يعدهم كذباً .. يغشهم ويخدعهم .. وبضاعته دائما زائفة .. لا تثق به .. ولا تثق بكلماته ووعوده .. وإذا أعطى شيئاً فليأخذ ما هو أكبر وأكثر .

وقد يكون جميل الوجه والطلعة .. ولكنه قبيح النفس والسريرة .. وقد يكون ورع المسلك ظاهريا ولكنه فاسد فى باطنه وفى الخفاء .. يظهر بغير حقيقته إحكاماً للخداع .

هذا إنسان لا يعرف الحب على الإطلاق .. وقلقه وحسده وحنقه وعدوانه تجعله فى حالة شقاء مستمر .. لا يستطيع أن يستمتع بما فى يديه فهو نهم طماع .. وهؤلاء هم التعساء كالعطشى الذين ينهلون من ماء البحر فيزدادون عطشا .

فإذا كان زوجاً فإن زوجته تكتشفه بعد حين وتتمنى الموت أفضل من الحياة معه .. ينتهى كزوج أو حبيب أو كرجل بالنسبة لها .. يسقط تماما .. تأنفه وتكرهه .. وتصل إلى قناعة الانفصال عنه وتفعل أى شىء لتحقيق هذا الغرض ولا يثنيها شىء عن هذا الهدف ولا تندم على شىء بل تندم على الجزء من عمرها الذى ضاع معه ..

وإذا كان أخا فإن إخوانه يبتعدون عنهم فيعيش محروما من الحنان العائلى .

وإذا كان صديقا فإن أصدقاءه ينفضون من حوله ليخرجوا من دائرة شروره ..

وإذا كان شريكاً فى عمل فإن شركاءه سرعان ما يكتشفون أمره ويفضون الشركاء ويتحدونه وبعضهم يحاول أن يرد كيده وإيذاءه .

وإذا كان جاراً فإن جيرته تعاسة ومطالعة وجهه مقبضة وصباحه غير طيب ومساءه جالب للكوابيس ويود جاره لو ترك له المدينة كلها وليس البيت فقط ..

إذن هو لا يصلح زوجاً أو أخاً أو صديقاً أو جاراً .. أى لا يصلح لأى علاقة إنسانية لأن أى علاقة إنسانية يجب أن تقوم على الحب بينما هو لا يعرف الحب لأن قلبه جامد متجمد متبلد قاس ملىء بالعداوة والحسد والقسوة ..

هكذا صاغ الله بعض الناس ..

وهذا هو بعض الشقاء على الأرض ..

إنها شخصيات مضطربة تمثل جانب الشر فى الحياة ..

هم ليسوا مرضى ولا علاج لهم ..

إنهم ضد الحياة وضد المجتمع .. ولذا يطلق عليه أنه صاحب شخصية ضد إجتماعية Anti-social Personality .

وإذا كان هذا الكتاب يتكلم عن الحب والصحة فأولاً صاحب هذه الشخصية لا يعرف الحب .. إنها عدم معرفة قلبية .. فالحب نعرفه بالقلب .. القلب هو الذى ينبئنا بالحب .. تشعر به فى

قلبك .. إحساس ما يشمل صدرك .. إنها المنطقة الأمامية من أسفل العنق إلى أعلى البطن .. تشعر بالفرحة فى هذه المنطقة .. وتشعر بالحزن فى هذه المنطقة .. وإذا إجتاحك ألم نفسى فإنه يعتصر هذه المنطقة .. وهى خبرة لا يعرفها إلا صاحبها .. وخبرة انشراح الصدر يعرفها المحبون والعاشقون والمتصوفون والعابدون والتقاة .

وكل الكتب السماوية ربطت بين القلب والحب ، القلب والرحمة .. ووصفت القلب القاسى بأنه كالحجارة وجعلت القلب الغليظ سبباً فى نفور الناس وابتعادهم ..

ولذا فالقلب ليس مجرد عضلة بل هو حلقة من حلقات الجهاز الوجدانى .. والوجدان هو واجهة النفس والذى يقول إن هنا إنسانا .. لا تكون إنساناً إلا إذا كان لك وجدان يحب ويحزن ويتألم ويرحم ويفرح وينتشى .. إنما دائرة تتواصل حلقاتها ابتداء من الحواس وانتهاء بالقلب ومروراً بمراكز التفكير والذاكرة وتواصلاً مع المراكز الفسيولوجية المسئولة عن المشاعر الجسدية التى تهزنا ونحن نمر بخبرة وجدانية معينة فتجعل القلب يسرع وينبض بشدة وتندفع الدماء للوجه وتختلج العضلات وتفرز هورمونات الشوق والإثارة ليتحقق الانجذاب بين قطبى الحياة الذكر والأنثى .

وهذه ليست مجرد أحاسيس جسدية فحسب ولكنها أحاسيس

وجدانية اسمها الحب تغمر كل أعضاء الجسم فيشدو بأغنية عذبة يتردد صداها فى الكون إعلانا عن حب إنسان لإنسان .. وهو إعلان يشهد على سلامة الوجدان ورقة الشعور ونقاء القلب.

أما المحرومون من نعمة الحب القاسية قلوبهم فإن الجسد يتحرك منفصلاً عن القلب .. تلك الحركة البدائية الغريزية التى يشترك فيها مع الحيوان بل هو أدنى ..

ولهذا فإن هذا الإنسان لا يعرف الولاء والإخلاص والوفاء .. ولذا فـهـو يخـون .. الذى يحب لا يخـون .. القلب لا يخـون .. الجسد فقط يخون .. إنها سطوة الغريزة التى انفصلت عن القلب فتحركت تلقائيا وفقاً للإشارات الحسية التى تصلها .. ولذا فالغرائز إما تحركها الحواس أو يحركها القلب . فهناك إنسان تستهويه الخواص الجسدية .. وهناك إنسان آخر تستهويه المشاعر والفكر والشخصية .. يستهويه الإنسان ككيان متكامل .. تستهويه الظاهرة الإنسانية بشمولها .. الظاهرة الإنسانية هى روح ونفس وجسد .

حب الروح

الروح هى ما هو غيبى وغير مرئى وغير ملموس .. شىء ما يجعلك تتآلف مع إنسان .. تحبه .. تعشقه .. تصير متيماً به.. تشتاق إليه ويعذبك هذا الاشتياق .. إنه انجذاب هائل لا تقوى منه فكاكاً بل لا تريد أن تنفك منه لأنه يملؤك بالفرحة والنشوة واللذة .. ولذة الروح هى خبرة ذاتية جداً .. خبرة سماوية .. خبرة يعجز الإنسان عن وصفها ولكنه يدركها بروحه .. وحتى روحه لا يستطيع أن يصفها وأن يحددها .. بل هى داخله أعماقه .. كل كيانه .. أصل وجوده .. محور حياته ..

أنت تحب إنسانا آخر بروحك لأسباب ما لا تعرفها أى بدون أسباب .. شىء ما كالقوى المغناطيسية ..فتصبح أسيراً وتسير طائعاً ومتقبلاً وراضياً .

وهناك أنواع من الحب تلعب فيه الروح الدور الأساسى بل الدور الأول بل ربما الدور الأوحد وتحقق لك التواصل مع محبوبك وهو حب الله وحب الوطن وحب الأم والأب وحب الابن والابنة وفى النهاية حب امرأة ما لرجل ما وحب رجل ما لامرأة ما أو حين يتحاب رجل وامرأة ..

إنه حب يشكل صميم وجودك إذ يُلغى وجودك أو ينتهى بدونه .. أى أن هذا الحب سابق على وجودك .. أى هو الأصل ثم خلقت أنت لتجد أنك تحب خالقك وإذا لم تحبه فأنت غير جدير بأن توجد ولا معنى لوجودك وأنت غير فاهم وغير مدرك لأساس وجودك .. وخلقت لتجد نفسك تحب وطنك فإذا بك لديك الاستعداد لأن تموت من أجله .. إن الوطن معنى كلى متكامل فيه شىء من معنى الأمومة والأبوة بالإضافة إلى التاريخ والثقافة والكينونة والامتداد والحرية والكرامة .

ومن لا يحب وطنه فهو كالريشة فى الفضاء تدفع بها الرياح بلا هدف .. عدم حب الوطن هو خيانة للذات .. هو إنكار لإنسانية الإنسان ..

وخلق الإنسان ليحب أمه وأباه . إنه أيضاً حب الوجود وحب أنى موجود وحب أنى منسوب إلى خلية بعينها وحب الأصل والمنبع والزهو بالركيزة والسند ومتعة العطاء غير المشروط والجلوس على عرش الفؤاد والترحيب المطلق .. أحب أمى وأبى

أى أحب أنا .. أحب وجودى .. أحب الحياة .. ومن لا يحب أمه وأباه فهو كالهشيم الذى تذروه الرياح أو التراب الذى تبعثره نفخة هواء .. بل هو لا شيء .. امتداد للاشيء الناشيء عن عدم حب الله وعدم حب الوطن .. فيأتى التتابع كالآتى : من لا يحب الله لا يحب وطنه ولا يحب أمه وأباه وبالتالى لا يحب نفسه ..

ومن لا يحب أمه وأباه فهو لا يحب وطنه وبالتالى فهو لا يحب الله وهو فى النهاية لا يحب نفسه .

وتتواصل حلقات الحب الروحى لتصل إلى حب الابن والابنة.. وهذا هو قمة الشعور بالأنا .. هذا هو ابنى أنا .. وهذه هى ابنتى أنا .. هذه هى خليتى التى جاءت من جسدى وتخلق منها هذا الابن وهذه الابنة .. أنا الأصل .. أنا المنبع .. أنا التراث .. أنا التاريخ .. وأحد جوانب هذا الحب هو الملاصقة والمتابعة والتتابع والمسئولية .. فالأبناء يعيشون فى حضن الآباء والأمهات.. كالزهور التى تعيش جذورها فى حضن الأرض .. ويمتص الابن والابنة رحيق الحياة من الأم والأب كما تفعل الزهور وهى تعيش على باطن الأرض .. إنها ملاصقة ومتابعة .. وأروع ما فى الأمر ملاحظة تتابع النمو والمرور بالمراحل المختلفة إلى حد النضوح .. إنها رحلة طويلة وشاقة وسارة .. ولذا يولد الأبناء ويولد معهم فى نفس اللحظة حب آبائهم لهم .. حب يقر فى القلوب .. ولا يمكن للآباء ألا يحبوا الأبناء إلا إذا كانوا منزوعى القلوب .

فهناك بشر قلوبهم منزوعة من صدورهم ولا يوجد مكانها إلا عضلة صماء تضخ الدماء فى الشرايين أى وظيفة ميكانيكية بحتة ..

ومن لا يحب ابنه أو ابنته فهو لا يحب نفسه ..

ثم نأتى لأحد أشكال الحب الروحى الأخرى وهو الحب الذى يقع بين الرجل والمرأة .

.. سر الوجود وأصل الحياة ومبعث الخليقة .. لولاه لما اقترب رجل وامرأة أو امرأة لرجل إلا كما تقترب الحيوانات من بعضها البعض . هو الذى سمى بالإنسان وارتفع به وأعلى من شأنه وجعله يستقبل الجمال ويهتز للفن ويعمل الفكر ويسبر الأغوار .. إذا اقترب رجل وامرأة تحت مظلة الحب وبفعل نشاط الروح فقد ارتفعا من على الأرض محلقين أنساً وغراما فناً وجمالاً . وهذا فعل إلهى حتمى وسر ربانى وتوليفة من صنع الخالق لتحقيق التآلف ما بين روحين لرجل وامرأة .. فيقرران أن يكونا معاً .. وهو رجل محظوظ وهى امرأة محظوظة أن أتاح الله لهما اللقاء ثم أتاح التعارف ثم أتاح التآلف الروحى فتعانقا التصاقا روحيا وكأن كل واحد منهما وجد ضالته والتقى بها ضاع منه فاكتمل وهدأ وهنأ .. إنه حظ سعيد .. ولا يمكن لامرأة أن تأنف الرجال إلا إذا كان بها علة .. ولا يمكن لرجل أن يزهد النساء إلا إذا كان به علة .. وهى علة العلل .. إنها العلة التى

تبقى الإنسان وحيداً معزولاً محروماً وتفقده دوره فى اكتمال المعنى وإثراء الحياة .. فالميل فطرى وطبيعى ويبدأ بالروح ثم النفس ..

النفس تستجيب بعد الروح .. وهو بعد إنسانى هام .. النفس هى وجدان وفكر وإدراك وسلوك .. النفس هى النشاط الذى يربط الإنسان بالواقع فيجعله يستقبل فيدرك فينفعل فيفكر فيسلك .. وهذا هو العقل .. العقل الذى يعطى للإنسان كينونته الأرضية .. العقل هو الذى يجعله يسير فى مناكب الأرض ليعمل ويأكل ويتفاعل مع الناس .. العقل هو نشاط مخى .. المخ يحتوى على المراكز العقلية .. فهذا مركز للتفكير وآخر للإدراك وثالث للوجدان ورابع للسلوك .. وكلها تندرج تحت ما يسمى بالنفس .. فالنفس البشرية هى هذه النشاطات العقلية الأربعة .. وهى متمركزة فى المخ .. أى تنبعث من المخ . والمايسترو لكل هذا النشاط هو الروح.. المسيطر الأعلى .. المتحكم الاحساسى .. الروح هى التى تعطى السمة البشرية لكل هذه النشاطات .. الروح هى التى تقول إن هنا إنسانا ..

ولذلك فالنشاط العقلى عند الإنسان يختلف عن النشاط العقلى عند الحيوان .. النشاط العقلى عند الحيوان غريزى بحت .. مادى مطلق إدراك حسى محض .. ولذا فالحيوان لا يرتبط عن طريق الحب ولكنه يرتبط عن طريق شرطيات مادية كالطعام والجنس ..

أى إرضاء الحاجة .. وهى حاجات مادية .. أما الحب فهو أعلى لذة معنوية .. أسمى شعور إنسانى . أبهى صورة جمالية للإنسان .. والحب هو الفيض الإلهى .. المنحة الربانية .. النعمة الكبرى .. النور السماوى .. إنه التفضيل الحقيقى للبشر عن سائر المخلوقات .

إذن الروح هى المدد الإلهى الذى يحب فيحرك النفس البشرية صوب إنسان بعينه .. إنسان بذاته ..

وبالرغم من أن الإنسان كائن أرضى إلا أنه يحلق بروحه .. وارتباطاته البشرية تبدأ من عند الروح .. فيحدث إما تآلف أو تنافر .. ومن تآلفه تقترب منه ومن تتنافر معه تبتعد عنه .. ومن ألفته فقد تحبه .. وإذا كان من أحببته من جنس مختلف فإن وجدانك يتحرك نحوه .. إنه الهوى .. الميل .. الانجذاب .. وعقلك كذلك ينبهر به .. فإذا مال وجدانك وانبهر عقلك فقد سيطر هذا الإنسان عليك وامتلك كيانك فلا تستطيع أن تبعد عنه فتقرر بملء إرادتك أن تبقى معه .. ووجودك بالقرب منه يمنحك السعادة والشعور بالأمن إنه الأمن والأمان .. إنها الطمأنينة النفسية .. وتلك أكبر مصادر اللذة والسرور ومبعث النشوة .. ولذا يصبح الزواج هدفا للمحبين والعشاق والمتيمين .. وتحت إلحاح الضغط الروحى والنفسى تتحرك الغريزة .. وهى ذلك الميل الجسدى للجنس الآخر تحت مظلة الحب .. الحب هو السابق عند

الإنســان.. ولذا فـالجنس تحت مظلة الحب له مـذاق خـاص إذ يتحقق فيه أقصى درجات الالتصـاق والاقتراب .. هكذا يصبح معناه .. وسيلة لإشبـاع الروح وإرضـاء النفس وليس الجسد .. الروح تشبع أكثر من الجسد حين يكون هناك جنس .. والوجدان يطرب للجنس أكثر من الجسد .. وهذا نوع مختلف من الجنس.. نوع ليس بيولوجيا بحتا .. ليس احتكاكاً واستثارة للأعصاب الحسية .. الجنس المادى أو الميكانيكى هو حركة آلية تؤدى إلى ارتعاشات لاذة أى تحقق لذة الجسد فحسب أما الجنس فى إطار الحب فإنه يحقق نوعا آخر من اللذة .. لذة فوقية .. لذة غير مـحـسـوسـة على المسـتوى المادى .. لذة بعـيـدة عن الأعـضـاء الجنسية.. لذة لا يعرفها إلا من أدركها وعاشها .. إنها لذة الروح ولذة القلب ولذة العقل .. وهى لذة لها معنى أو لها مدلول وهى أن حبيبك بين يديك وفى أقرب موقع منك وإنكما معاً تؤديان فعلاً ما يحقق لكما لذة فى كل الاتجاهات ..

وهذا النوع من الحب أى حب الرجل والمرأة هو حلقـــة من ضمن حلقات دائرة التواصل الإنسانى تبدأ بالحب الإلهى وتكتمل بأشكال الحب الأخـرى التى تشكل المعنى الحـقـيـقى للإنسـان وارتباطاته الأزلية والحيوية وهى حب الوطن وحب الوالدين وحب الأبناء وحب امرأة ورجل ..

إنهـا منظومـة التـوازن والاكـتـمـال .. وبذلك ينعم الإنسـان

بالصحة.. أى يكون سعيداً ومطمئناً .. أى يكون راضيا هانئاً ..

والمحروم من الحب تعيس شقى .. قاس غليظ .. لا يأمنه أحد وهو محروم من الأمان . معزول منبوذ وهو عاجز أن يقرّب أحداً منه أو يحتفظ بأحد .. قد يجمع مالاً كثيراً .. قد يتبوأ أعلى المراكز .. قد ينهل من بحر الملذات الحسية .. ولكنه محروم جائع عطشـــان قلق .. لا يحب أحـــداً وهو يعـــرف تمامـــاً أن أحـــداً لا يحبه .. وتلك أقصى درجات الشقاء النفسى ..

المـرض العقلى والحـب

بعض الأمـراض تُفقـد الإنسـان القـدرة على الحب أى يصـاب بالتبلد الوجدانى .. ومن أهم هذه الأمـراض مرض الفصام .. وهو مـرض يؤثر على التفكير والإدراك والسلوك والوجـدان . أى يؤثر على العقل .. يحدث تفسـخـا بين هذه الوظائف الأربعة للمخ أو العقل .. يضطرب تفكير الإنسان فـيفقد ترابطه .. تضعف تلك الوصلات التى تربط الجمل المحملة بالأفكار من أجل استخلاص فكره كلية واحدة فلا يستطيع المريض أن يعبر عن فكرته أو تأتى فكرته ضحلة سطحية أو تأتى العبارات والجمل التى تعبر عنها غير مترابطة أو يكون الرباط واهياً ولا توجد صلات قوية بين جملة والتى تليها .. ولذا لا تخرج بشىء من الحوار معه .. كما أنه يفقد القدرة على التجريد أى يفقد القدرة على الوصول

للمعانى العميقة والدفينة التى تكون مختفية أو كامنة بين السطور والتى لا نعبر عنها بشكل مباشر بل نستخدم الرمز مثلما نفعل فى الأمثال الشعبية .. فإذا أعطيناه مثلاً ليفسره فإنه يستعين بنفس كلمات المثل المباشرة فى النص وتخفى عليه المعانى الخفية الأعمق والتى ليس لها علاقة مباشرة بالألفاظ التى وردت فى المثل .. أى يفقد القدرة على التفكير التجريدى ولذا لا يكون هناك خير فى قراءاته كما يتعثر فى الامتحانات حيث يكون عاجزاً عن نقل أفكاره ..

ومن مظاهر اضطراب التفكير فى الفصام سيطرة أفكار خاطئة على عقل المريض والتى يؤمن بها إيماناً راسخا ولا يتخلى عنها حتى ولو جئنا له بأدلة دامغة على عدم صحة هذه الأفكار . وتسمى هذه الأفكار الضالة بالضلالات أو الهزاءات مثل أن يعتقد أنه مراقب أو مضطهد أو أن هناك أيادى خفية تعبث بأفكاره أو تعبث بجسده ..

أما اضطراب الإدراك فيأتى فى صورة هلاوس أى يرى أو يسمع أو يشم أو يتذوق أن يحس على جلده أو فى جسمه بأشياء لا وجود لها ، وهذا أمر غريب أن يسمع شيئاً لا مصدر خارجى له أو يرى أو يشعر بشىء .. أى يستقبل أشياء هى غير موجودة أصلاً بالخارج ..

إذن عالم الفصام عالم مضطرب .. وهو يؤمن أن كل هذه

الأشياء الغريبة تقع .. كما أنه غير مقتنع أنه مريض .. فهو غير مستبصر بمرض وهو منفصل عن هذا الواقع .. إنه خرج من الدائرة البشرية التى تجمع الناس فى حزمة واحدة فيرون معاً ويلتزمون معاً بقواعد وحدود للتفكير ..

ثم نأتى للاضطراب الثالث والذى يهمنا فى هذا المجال وهو اضطراب الوجدان وبالذات التبلد الوجدانى .. فنجد أنه يشكو فى البداية أنه لا ينفعل بشىء .. لا يحزن .. لا يفرح .. لا يتألم .. لا يستقبل أى أحاسيس من الآخرين ولا يصدر لهم أى مشاعر .. إنه كالصخر .. وبالتالى فهو غير قادر على الحب .. لا يحب أحداً ولا يشعر بحب أى أحد تجاهه .. يتعطل له أحد أهم الأجهزة التى تبقى للإنسان اتصاله بالبشر .. لا يمكن أن تعيش بين الناس بمشاعر باردة حيادية .. لا حياد فى المشاعر والعواطف .. لا يترابط الناس إلا بالمشاعر فتتكون الأسرة وتتكون الصداقات وتتكون الجماعات .. أما إذا فقد الإنسان عواطفه فإنه ينعزل تماماً ، كما يفقد أشياء أخرى هامة تترتب على العواطف مثل المودة والرحمة والحنان والاشفاق والتعاطف .. تقابل هذا الشخص فتشعر أنك لا تستطيع الاقتراب منه .. تشعر أن هناك مسافة سحيقة أو هوة تفصل بينك وبينه .. هو لا يسمعك وأنت لا تسمعه وكأن جداراً خرسانيا سميكا يفصل بينك وبينه . وإذا تصورنا مجتمعاً جميع أفراده مصابون بالتبلد الوجدانى سيتوقف التفاعل بين هؤلاء الناس .. لن يرحم أحدهم الآخر ولن يتعاطف

مع المحتاج أو الضعيف أو المريض أو الذى يمر بأزمة .. لن يعطى شيئاً .. لن يؤنبه ضميره على شىء .. لن يتعاونوا .. ستعم الفوضى .. ستنتشر الجرائم بنسبة ١٠٠٪ . أى سينتهى هؤلاء الناس ..

ولن يعرف هؤلاء الناس طريقهم إلى الله .. فالله محبة .. الله نشعر به فى قلوبنا مثلما نشعر به فى عقولنا .. والقلب يسبق العقل فى اللقاء مع الله .. فطرة الإنسان السوية ووجدانه السليم تتعرف على وجود الله قبل أن يجتهد العقل .. إننا نستقبل الإيمان بقلوبنا .. ولهذا فالكافر غليظ القلب لا أمان له .. لا تثق بإنسان لا يؤمن بوجود الله ..

الدراسات العلمية التى أُجريت على القتلة أثبتت أن ٧٠٪ منهم يعانون من التبلد الوجدانى . أى فقدوا عواطفهم ومشاعرهم تجاه الآخرين .. فقدوا القدرة على الحب وعلى الإحساس بالألم .. فالحب والإحساس بالألم وجهان لعملة واحدة .. لا ينفصل الألم عن الحب .. أنت تتألم حين تحب .. أنت تتألم من أجل من تحب.. وتتألم من أجل الناس عامة .. الدموع هى دماء عبرت بالقلب فتطهرت وتشبعت بالحزن فطفرت من العيون فى لحظة ألم حاد ..

والذى يقتل لا يشعر بالألم لأن له قلباً كالحجارة أو أشد قسوة .. من السهل عليه أن يزهق روح إنسان آخر من أجل

أسـبـاب تافـهـة جداً أو من أجل أسـبـاب لا عـلاقـة له بهـا هو شخصيا وإنما استجابة لطلب من الآخرين أو نظير أجر معين .. أى هو قاتل مأجور .

ودراســات أخـرى أجـريت على بنات الليل أو الـهـوى أو مـا يسمين بالمومسات .. هذه الدراسات أثبتت أيضا أنـهن يعانين من التبلد الوجدانى .. لا توجد امرأة تبيع جسدها مقابل المال إلا إذا كانت معطلة من العواطف .. حالة أقرب إلى مرض الفصام .

فالجنس السوى يبدأ كعـاطفة .. كمـشـاعر .. كرغـبة قلب .. كتـحرك وجـدان .. وهى رغـبة مـشـتـركة بين اثنين من البـشـر .. ولهذا لا يمكن أن يكون له مقابل مادى .. ولا يمكن لإنسان سوى أن يمـارس الجنس بدون رغـبـة .. الرغـبـة تسـبق المـارسـة .. والعـاطفة تسـبق الرغبـة .. واللقاء حـر .. اختـيارى .. تلقـائى .. لا غـرض منه ولا مـصلحـة ولا نفع غـيـر نفع الأرواح .. والقلوب والأجسـاد .. فـإذا تداخلت مـصلحـة شـخـصـية أو أى شكل من أشكال النفع فـهو ليس جنساً .. وأى جنس له مقابل مـادى ليس جنسـاً .. وأى جنس يحقق استمتاعاً لطرف واحد ليس جنساً .. الجنس ليس فيه بيع وشراء .. وليس فيه أنانية واستـئثار .. بل فيه إثارة أى أن كل طرف يجتهد فى أن يسعد الآخر .. ويسعد بسعادة الآخر .

يسـعد بأنه اسـتطاع أن يسـعـد الآخـر .. فى الجنس السـوى

ينشغل كل طرف بالآخر ولا ينشغل بنفسه .. أى يركز على الطرف الآخر .. ويسأل نفسه فى النهاية : هل أسعدته ؟ هل أرضيته ؟

المومس المحترفة مصابة بالتبلد الوجدانى .. وقد تكون مصابة بمرض الفصام .. أو تكون شخصية سيكوباتية ضد اجتماعية وهى شخصية سبق وصفها فى بداية هذا الكتاب وهى ليست مريضة وإنما ذات صفات ونوازع إجرامية عدوانية باحثة عن اللذة الفورية بلا عواطف ولا ضمير .

وإذا نظرنا من حولنا سنجد أن هذا العالم يحكمه فى بعض أركانه أناس تبلدوا وجدانيا وغير قادرين على الحب أى إما فصاميين أو سيكوباتيين ..

وهؤلاء هم الذين يشعلون الحروب ويأمرون بالقتل الجماعى ولا يتورعون عن ذبح النساء والأطفال والشيوخ ودفنهم فى مقابر جماعية ..

ومثل هؤلاء الناس لا يدافعون عن حق أو مبدأ أو يحمون وطناً بل هم معتدون باغون بلا قلوب ذوو نوازع إجرامية .. فهل ينادى الأطباء النفسيون من خلال الأمم المتحدة بضرورة إجراء فحص طبى نفسى لحكام العالم حتى لا تتعرض البشرية للحروب والمجازر !!!

الاكتئاب والحب

أما المكتئب فإحساسه مرهف .. يسهل جرحه .. شديد الاحساس بالألم .. يمزقه الحزن .. يعذبه ضميره .. يشعر أنه مخطىء أثم فى حق الآخرين .. يتهم نفسه ولا يتهم غيره .. يرى فى نفسه الشر ويرى الآخرين ضحايا له .. يشعر بالعجز والضعف والوهن وقلة الحيلة والهوان والمذلة والخزى .. ويتمنى الموت وقد يسعى إليه وينهى حياته بيديه .. وبذلك يكون قد وصل إلى أعلى قمة جبل الحزن ويقذف بنفسه من فوقه خلاصا من عذاب لا يحتمل ..

الاكتئاب مرض يصيب الوجدان فتضطرب المشاعر وتختلط . فى البداية يشعر الإنسان المكتئب بتنميل فى مشاعره .. كأن شيئاً تعطل .. توقف عن الاستقبال والإرسال .. ويندهش المريض وينزعج ويشعر بالألم .. الألم من أجل أنه لا يشعر ولا يحس .. وهذا أمر عجيب أن يتألم الإنسان لأنه لا يشعر .. إذن من أين

يتألم ؟ أليس الألم مصدره الوجدان الحى ؟ نعم إن هذا الإنسان وجدان لم يمت .. إنه فى حالة تنميل .. أى فى حالة توقف مؤقت .. ويكون الإنسان مستبصراً .. أى يستطيع أن يشعر بوضوح بذلك العطل المؤقت الذى أصاب وجدانه .. وبالتالى يكتشف هول المصيبة التى ألمت به .. وهذا هو ألم الفقد .. ألم من ضاع منه شىء ثمين .. إنه الألم من أجل نفسه .. ومما لا شك فيه أنه بقى من وجدانه جزء قادر على الألم .. جزء قادر على الإحساس بالمصيبين .. جزء قادر على إدراك ما تعانيه بقية الأجزاء من تعطل وتوقف .. إنه هنا يأسى على نفسه ، ينعيها ، يشعر بالاشفاق من أجلها إنه كالذاهل عن العالم من حوله .. كالغريب .. كمن يراه هذا العالم لأول مرة .. يشعر كأنه يحلم .. يفقد الاتصال المباشر بهذا العالم .. لا يستطيع أن يمسك شيئاً ليتأكد من وجوده .. إذا أمسكه فكأنه لا يمسكه أى لا يشعر به .. هذه مسافة سحيقة تفصله عن كل شىء ويتساءل ما هذا ؟ ومن هذا ؟ وقد يتساءل عن نفسه فيندهش .. من أنا ؟ من أكون ؟ وما علاقتى بهذا العالم ؟ يشعر بجهود فى عواطفه تجاه العالم من حوله .. حالة من الحيادية .. لا كره ولا حب .. ويشعر بنفس الشىء تجاه نفسه .. إنه يندهش لنفسه .. وهذا الاحلال يصاحبه ألم وجزع .. إحساس مؤلم ومزعج ويثير الزهق والقرف وأحياناً الرغبة فى الموت .. يسمى إنفصال الإنسان واندهاشه للعالم من حوله باختلال الواقع Derealization ويُسمى

إنفصاله عن نفسه وإندهاشه لها باختلال الأنية -Deper
. sonalization

وهما من أعراض الاكتئاب .. وقد نجدهما ضمن أعراض أمراض أخرى كالقلق الشديد والمواقف الحادة جداً التى يتعرض فيها الإنسان لكارثة أو مصيبة وفى بعض حالات الفصام وبعض إصابات مراكز معينة فى المخ وخاصة تلك التى تؤدى إلى حالات صرعية .

فقد شريك الحياة

إحدى النظريات الهامة التى تفسر حدوث مرض الاكتئاب تقول إن الإنسان يكتئب حينما يفقد موضوع حبه .. ويبدو أن فقد الحب هو المصيبة الكبرى فى حياة الإنسان .. فهناك موضوع أساسى للحب فى حياة كل إنسان يحفظ له البقاء النفسى كالروح بالنسبة للجسد .. ففقد الروح يميت الجسد وفقد موضوع الحب يميت النفس .. إن حياة الإنسان تدور حول موضوع حبه .. فهو الإحساس وهو المركز والمحور ..

الدراسات العلمية التى أجريت عن الاكتئاب أثبتت أن الإنسان الذى يفقد أحد والديه وهو دون الثانية عشرة من عمره يكون مستهدفا أكثر من غيره للاكتئاب حين يكبر ..

الدراسات المصرية أثبتت أن فقدان الأب يكون أكبر تأثيراً .. وفى العالم الغربى كان فقد الأم وراء الاكتئاب ..

أما إذا فقد الإنسان شريك حياته بعد رحلة طويلة من

المشاركة فإنه يصاب بالأسى وهو حزن شديد قد يودى بحياته فى خلال ستة أشهر ويضاعف فرصة إصابته بالأمراض العضوية. وفى الغالب يكون مرضاً يشابه ذلك المرض الذى أودى بحياة شريك حياته ..

إن الالتحام الروحى الشديد الذى يحدث بعد الرحلة الطويلة يجعل من الصعب وأحياناً من المستحيل نزع أحدهما عن الآخر.. فإذا صعدت روح أحدهما إلى بارئها فإن الروح الأخرى تود لو تلحق بها فى التو واللحظة .. ولذا يموت الإنسان معنوياً بعد رحيل شريك حياته .. وتفقد الحياة كل معنى لها .. إن الموت المعنوى يسبق الموت الجسدى .. والموت المعنوى معناه عدم التفاعل مع الحياة .. توقف المشاعر والتفكير .. الزهد المطلق .. عدم الإحساس بأى رغبة أو متعة أو حماس لشىء .. كل شىء من حوله باهت بلا رائحة .. لا طعم لشىء .. الزمن توقف .. انتهى الكون إلى العدم بعد أن مات كل شىء .. وآخر شىء يموت عنده هو الجسد بعد أن يفقد مبررات وجوده واستمراره .

عـلاج الاكتئـاب

مثلما أن أحد أسباب الاكتئاب الهامة أو أن جوهر الاكتئاب هو فقدان موضوع الحب فإن علاج الاكتئاب يكمن أيضاً فى الحب .. حقيقة إن للاكتئاب أسبابه الكميائية أيضاً والتى تعالجها العقاقير إلا أن الحب ذاته ضرورة لاستعادة المريض للحياة .. لا بد أن تكون هناك يد حانية تربت عليه وتمسح على رأسه وتأخذ بيده .. لا بد أن يشعر أن هناك ولو إنسانا واحدا يهمه وجوده واستمراره .. أن هناك ولو إنسانا واحدا يهتم به ويرعاه ويقف بجانبه ويشاركه أحزانه .. إن هذا الإنسان سوف يجسد للمريض أجمل المعانى التى ستعيد له ثقته بالحياة وهى معانى الإخلاص والوفاء والصدق .. سيرى الحياة من خلاله جميلة وتستحق أن نحياها ..

إن من يفقد إيمانه بالناس يفقد رغبته فى الحياة تماماً .. تصبح الحياة مؤلمة معذبة ويسعى للخلاص منها .. إن لحظة الخلاص من الحياة هى لحظة اليأس الكامل حين تقفر الدنيا من الأوفياء الأحباء المخلصين الصادقين .. إذا أردت أن تعيد إنسانا للحياة فضع فى طريقه إنسانا يحبه .. إنسانا يؤمن به .. العقاقير وحدها لا تكفى .. العقاقير حين تكون مغموسة فى الحب تصبح أكثر فاعلية ..

اكتئاب الأطفال

يصاب الطفل بقلق الانفصال حين يغيب عن عينيه أحد والديه .. ويصاب بالاكتئاب إذا فقد أحدهما .. الطفل يصاب بالأسى والحزن مثل الكبار تماماً .. ينطوى .. يبكى .. يفقد شهيته للطعام .. يفقد وزنه .. وقد يقولها صراحة أنه يود الخلاص من الحياة .. وقد يقدم على الانتحار فعلاً .. تتزايد حالياً فى العالم نسب انتحار الأطفال ..

ولا ينقذ الطفل من بئر الاكتئاب وخطر الانتحار إلا الحب والاهتمام.. الأطفال حساسون جداً لموقف وعواطف الآخرين تجاههم.

إن للأطفـال أجـهـزة ردار مـتـخـصـصـة فى التـقـاط المشـاعـر وفحصها ..

إن غـيـاب الحب والنبـذ والإهمـال والغلظـة فى المعـاملة يؤثر على نمو الطفـل حيث يعطل هـورمـونات النمـو فـيـصـيـر الطفل قزمـاً .. وهناك تشـخـيص فى الطب تحت مسـمى القزم العـاطفى Emotional Dwarf وهذا يوضـح بجـلاء العلاقـة بين الحـب وبين فسـيـولوجـيا الجسم .. إن نمو الجسم وقوته ونضـارته وحـيويته لا تعتمـد فقط على الغذاء المادى وإنما تعتمد أيضـاً على الغذاء العـاطفى .. أى على الحب الذى يحظى به الإنسـان من الآخـرين ويحقق لـه الإشبـاع والتوازن البيولوجى مـثلما يحقق له التوازن النفسى .

الهــوس : Mania and Hypomania

وهو مـرض عكس الاكـتـئـاب تمـامـاً .. ويأتى فى صـورة مـرح زائد لا تبرير له ونشاط وحركة وحيوية وأفكار متلاحقة ومشاريع خرافية وأرق دائم وبذخ شديد .. كما يفقد المريض السيطرة على سلوكه فيندفع فى علاقات عاطفية وجنسية متعددة ومتلاحقة بدون ضـوابط وبدون مراعـاة للتقـاليد والدين .. وينتـج عن ذلك مشـاكل اجتماعية خطيرة وخاصة إذا كان المريض فتاة أو سيدة فتسبب لأسرتها حرجاً شديداً وخاصة فى المجتمعات المحافظة ..

فبينما تصاب العواطف بالتنميل والجمود فى الاكتئاب ويفقد المريض رغبته الجنسية تماماً فإن مريض الهوس تتضاعف لديه هذه المشاعر .. وهذا يوضح أن العواطف والرغبات تتحكم فيها كمياء معينة والتى تسمى بكمياء الحب . وتلعب الأحماض الأمينية Biogenic Amines دورا أساسيا ، فحين يكون الإنسان فى حالة حب حادة حيث يكون الميل جارفا واللهو مبرحا والاشواق ملتهبة فإن مادة معينة تزيد لدى الإنسان وتعرف باسم داى أمين أمين Dimethyl Amine .

أما بعد سنوات من الحب وانخفاض درجة حرارته فإن مادة الداى مثيل أمين تنخفض وتزيد مادة أخرى تعرف باسم الاندورفين Endorphine وهى مادة السعادة والطمأنينة والهدوء النفسى والاستقرار .. وبالتالى نستطيع أن نتخيل أن نقص الأحماض الأمينية كما يحدث فى الاكتئاب يصاحبه خمول عاطفى وانطفاء أما زيادة هذه المواد كما يحدث فى مرض الهوس يصاحبه نشاط عاطفى جارف .. وواضح هنا أن العاطفة الجياشة يصاحبها استثارة جنسية وهذا معناه أن العاطفة والجنس مرتبطان أو أن الجنس هو تعبير عن العاطفة وأحد مظاهرها .

إذن الجنس لا يقوم منفصلاً كغريزة بيولوجية حسية إلا عند الحيوان وعند الإنسان أيضاً إذا كان جهاز العواطف لديه معطلاً

كما فى حالة الشخصية السيكوباتية وفى حالة مرضى الفصام .. يتــحول الإنسـان إلى مــا يشــبــه الـوحـش يهــاجـم ويعــتــدى ويهتك الأعـراض ويغتصب دون أن يتحرك له وجـدان أو يخفق لـه قلب ..

فى الحالة السوية ترتبط فسيولوجيا الحب بفسيولوجيا الجنس أو هما شيء واحد .. أما فى الحالات المرضية فينفصلان ..

المشاعر السطحية

تختلف درجة عمق المشاعر حسب شخصية الإنسان ودرجة نضجها .. والحب الحقيقى لا يقدر عليه إلا الإنسان الناضج .. لأن الحب ذاته يتيح رؤية أشمل وفهما أعمق وشعورا متكاملا وبذلك يتحقق التواصل الأبدى .. أى يكون هناك ثبات واستقرار واستمرارية ..

بعض الناس لأسباب تكوينية أو بيئية حرموا من هذا النضج ولذا تصبح عواطفهم سطحية متقلبة .. تكون هذه العواطف فى البداية حادة ومشتعلة إلى حد الاندفاع والتهور ثم سرعان ما تخفت وتنطفىء إن لم تنقلب إلى الضد .. وهذا يحدث فى نمط معين من الشخصيات تعرف باسم الشخصية الهستيرية وهى شخصية تنتشر أكثر فى الفتيات والنساء وتتسم بعدم النضج

الانفعالى والسطحية فى تناول الأمور ومعالجتها وحب الظهور وجذب الانتباه والمبالغة إلى حد الكذب أحياناً .. تشتعل عواطفها فجأة وتعيش قصة حب عارمة وتبدو عليها مظاهر الوله والهيام وتعبر عن مشاعرها بحرارة وسخاء وتغرق من تحب فى بحر من العسل فيتصور أنه فى الجنة وتندفع إلى حد الحماقة أحياناً متحدية التقاليد والمجتمع وقد تثير مشاكل أسرية تسبب حرجا وقلقا ..

أما من تقع فى غرامه فهو يصدق ، كما يسعد بأنه يحظى بهذا القدر الهائل من العواطف ويتصور نفسه ملكا متوجا وتشجعه هو الآخر على الحماقة فيتم الزواج بشكل سريع وربما ضد رغبة الأهل أو عدم حماسهم .. ولكن سرعان ما تبدأ المشاكل وذلك حينما تنطفىء الجذوة وتبهت المشاعر وتنخفض درجة حرارة العشق ويحل محله السأم والضجر والملل ..

ويسبب ذلك تعاسة كبرى للطرف الذى صدق هذه المشاعر وتنقلب حياته جحيما وقد تتحطم الحياة الزوجية مع أول تصادم ..

عشق الـذات

حينما تحب فأنت تشعر أنك محظوظ ومُختار ومُفضل .. تشعر بأن الله كان كريماً معك أنت بالذات فأنعم عليك بأجل النعم وأعظمها .. ولذا فأنت تسجد لله شكراً وامتناناً ..

وفى علاقة الحب أنت ترى محبوبك أعظم الناس .. تعرف قيمته الحقيقية وترى طاقات الخير والجمال داخله حيث يُتاح لك أنت وحدك الاطلاع على هذا الداخل الرائع البديع المذهل ..

ولذا فأنت تتواضع رغم إحساسك بالفخر .. تكون بسيطاً رغم اعتلائك العرش .. كما تنشغل بمحبوبك أكثر مما تنشغل بنفسك.. وتعطيه أكثر مما تأخذ . ربما لا تفكر أن تأخذ وتسعد أكثر بالعطاء .. فى حالة الحب العطاء يمنح سعادة أكثر من

الأخذ .. وفى حالة الحب يفيض حبك على الآخرين فتصير أكثر تسامحاً وتساهلاً وقرباً ، وتلك من علامات النضج المؤكدة والثقة بالنفس والتوازن النفسى وسلامة الخلق ورسوخ المبادىء .. وتلك درجة عالية من درجات السمو إن لم تكن أعلاها ..

أما الإنسان النرجسى فهو غير قادر على الحب الحقيقى .. إنه لا يحب إلا نفسه .. وإذا أحب أحداً فإنه يحب من خلال نفسه .. أى من أجل نفسه وعلى الآخر - أى محبوبه - أن يدور فى فلكه وأن يكون تحت سيطرته وفى دائرة نفوذه وتحكمه وأن يظهر حبه غير المحدود وأن يكون ممتنا وشاكرا لأنه حظى بهذا الحب ، بل عليه أيضا أن يؤكد أنه غير جدير بهذا الحب وأن هذا الحب قد رفعه إلى مكانة أعلى ..

هذه هى طريقة حب الشخصية النرجسية وهو حب للذات أكثر مما هو حب للطرف الآخر .. وأن تكون على الطرف الآخر واجبات بذل الجهد لإرضاء الإنسان النرجسى وخدمته والاستجابة الفورية لطلباته وأن يتحمل سخافاته وضغوطه دون شكوى أو اعتراض ..

والإنسان النرجسى دائم التذكرة لمن يحب بأفضاله عليه وعادة هى أفضال مادية وليست معنوية ..

وفى الحالات المتفاقمة يكون هناك جرح للمشاعر وإهانة

وتحقير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .. ويصل الأمر هنا إلى أن الطرف الآخر تتوقف مشاعره والتى قد تنقلب إلى النفور والعداوة والكراهية ، ويفكر فى الفرار إن استطاع فالحياة مع الشخصية النرجسية تكاد تكون مستحيلة ..

الحب والنرجسية لا يجتمعان ..

الحب وبناء البيوت

البيوت جُعلت للسكن .. ومن أهم صفات البيوت أن يستطيع أصحابها إحكام إغلاقها فلا يقتحمها أحد ولا يتلصص عليها أحد .. فالبيوت ستر مثل الملابس .. وحين يدخل الإنسان بيته فلا بد أن يشعر بالأمان .. فالبيت مملكة صغيرة .. وكل إنسان داخل بيته هو الملك .. ومعه مليكته .. ثم أبناؤه وبناته .. أى أسرته .. ولا تتكون أسرة إلا من خلال زواج .. ولا زواج بدون حب .. ولا حب بدون زواج .. رغم أن هناك زواجـــا بلا حب وهناك حب بلا زواج .. ولكن زواج بلا حب هو تعاسة .. وحب بلا زواج هو عذاب .. فالأصل فى الحب أن يكونا معا .. ولن يكونا معاً إلا إذا تزوجا وكان لهما بيت له أبواب وشبابيك من الممكن إحكام غلقها ..

وما بُنيت بيوت إلا لتحتوى المتزوجين .. أما إذا عاش الإنسان بلا زواج فإن مغارة تكفيه أو كهفا يؤويه أو حتى خيمة على قارعة الطريق تحميه من وطأة حر أو برد .. أما البيت فله معنى آخر غير الحماية من البرد والحر وعيون الناس . البيت معنى .. هو السكن .. أى السكينة .. أى أقصى درجات طمأنينة النفس .. وأى بيت لابد أن يرتفع على قواعد .. والقاعدة الأساسية لبيت الزوجية هى الحب .. والحب بعد الزواج لابد أن يأخذ شكلاً مختلفا عن الحب قبل الزواج .. مجرد اختلاف بالشكل ولكن المعنى واحد .. الحب بعد الزواج هو المودة والرحمة .. هذا نص واضح صريح مباشر .. وفى رحلة الحياة كبوات لا يستطيع الإنسان أن يتحملها بمفرده .. لابد من شريك يواجه معه المحن ويتحدى الصعاب .. ولابد من شريك أيضاً يطلع معنا على الوجه الجميل للحياة .. وهى المشاركة فى تحويل الأيام إلى ذكريات سعيدة .. إذن الزواج بيت وسكينة ومواجهة صعاب وتسجيل ذكريات جميلة .. أى كله منافع .. تستطيع أن تزيد على ذلك إرضاء غريزة أن يصبح الإنسان أبا وأما وكذلك إرضاء غريزة الجنس .

ولذا لابد أن يفضى الحب إلى زواج وأن يفضى الزواج إلى حب وذلك إذا أردنا حياة صحية وصحيحة يصبح العيش معها مشبعاً وممتعاً ..

الحب وخراب البيوت

أحـيـانا يقـوم بيت على أنقـاض بيت آخـر .. ولكن الأنقـاض لا تصلح قواعد ثابتة ومتينة لإقامة أى بيت .. فقد يندفع الإنسان وراء عـاطفـة مـشكوك فى صـدقـهـا أو غـريزة قـهـرية للزواج مـرة ثانية .. وتلك سقطة كبرى يكون ثمنها باهظاً .. فـالحب الحقيقى فقط هو الذى يجب أن يقود إلى زواج .. أما الهوى المندفع والميل الغـريزى والذى قـد يُطلق عليـه حبـاً أو يُغلف زيفـاً بالحب فـإنه ينتهى دائماً إلى كارثة وسرعان ما ينهار البيت الثانى تلقائياً بعد أن يكون قد قُضى على البيت الأول .. ولا يمكن أن يستمر البيت الأول فى ظل البيت الثانى ..

الإثنان لا يبـقـيـان مـعـاً .. لابد أن يزول أحـدهمـا ليـسـتـمـر الثـانى .. إن الجـرح الذى ينشـأ عن ترك الزوج لزوجتـه ويذهب

لامرأة أخرى أو ترك الزوجة لزوجها وتذهب لرجل آخر لا يندمل أبداً .. إنه يظل مؤلماً حتى نهاية الحياة حتى وإن عادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية .. أبداً لا ينسى الإنسان .. يفلح فقط فى التناسى ..

ولا يجب أن يقوم البيت الثانى إلا بعد انهيار البيت الأول تلقائياً ولأسباب حقيقية تجعل استمراره مستحيلاً .. أى يجب قبل أن يشرع الإنسان فى بناء بيته الثانى أن يكون قد استنفد كل الوسائل لإنقاذ بيته الأول .. فالأصل فى الزواج أن يكون لمرة واحدة ومن شخص واحد وأن يكون أبديا إلا فى ظروف استثنائية قليلة ومحدودة جدا .. وهنا يجب على الإنسان أن يكون صادقا مع نفسه أمينا مع الطرف الآخر.. وأن يستأذنه فى الانصراف لا أن يباغته وأن يعطى له الفرصة لمحاولة الإصلاح .. وأهم محاولات الإصلاح أن يصلح الإنسان من نفسه .. وبعض الأزواج والزوجات إذا شعروا أن البيت على وشك الانهيار فإنهم يتغيرون تماماً ويبذلون جهوداً حقيقية مخلصة وواعية للحفاظ عليه مستفيدين من الخبرات المؤلمة التى كادت أن تودى بالبيت ..

إن مثل هذه الكبوات تمر بعدد غير قليل من الزيجات .. مطلوب هنا الحكمة التى مصدرها النضج والخبرة وكذلك قدر الحب الذى بقى أو قدر الذكريات الجميلة المعاشة والتى هى بمثابة رصيد ينفع فى الأزمات الصعبة ويمكن الرجوع إليها

للاستعانة بها لتهدئة النفوس وبذل الجهد المخلص للإصلاح .

إلا أنه يبقى فى النهاية نوعان من الناس :

١ - نوع لا يتـورع عن هد بيـوت الآخـرين دون الإحســاس بتأنيب الضمير أو الخوف من الله .

٢ - النوع الثانى هو الذى يندفع وراء شهواته وأهوائه وتغريه الزينة الزائفة فيهدم بيتا مستقرا ليبنى بيتا يحمل مقومات فنائه من البـداية .. لأنه قـام على أنقـاض بيت آخـر ولأنه قـام على عواطف زائفة أساسها جنسى محض أو نفعى محض ..

هل يأتى الحب بعد الزواج ؟

إنه سؤال قديم قدم الإنسان نفسه .. وهو للوهلة الأولى يبدو سؤالا غريبا إذ لا يمكن تصور علاقة إنسانية بلا حب . ولكن ربما مبعث السؤال هو محاولة المقارنة بين مصير زواج سبقته قصة حب وزواج .. لم تسبقه غير النيات المخلصة فى الرغبة فى الزواج والقبول المبدئى ..

وفى البداية يجب أن نقرر أن الحب ليس متاحاً لكل إنسان قبل الزواج .. الحب له شروط خاصة بعضها مرتبط بالإنسان نفسه والبعض الآخر مرتبط بظروفه الشخصية وظروف المجتمع .. فالإنسان الذى ينجح فى إنشاء علاقة حب مع طرف من الجنس الآخر لابد أن يكون إنسانا جريئا اجتماعيا قادرا على التعبير عن مشاعره وتوصيل عواطفه .. مقداما وله كاريزما أى تأثير شكلى

مبدئى على الآخرين .. وأن تتوافر له الظروف لذلك وكذلك أن يسمح المجتمع بما فيه الأسرة بأن تنشأ مثل هذه العلاقات ..

بعض الناس لا يملكون هذه القدرات وظروفهم لا تسمح رغم أنهم يتمنون الوقوع فى الحب قبل الزواج .. هؤلاء هم الذين يتزوجون بدون علاقة حب سابقة على الزواج .. ويتم الزواج بناء على الرغبة الصادقة الحقيقية فى الزواج فى حد ذاته .. أى يكون الزواج هدفاً أساسياً وأوليا وعظيما تم التخطيط والإعداد له بناء على إيمان بأهمية الزواج وضرورته النفسية والاجتماعية والبيولوجية .. وذلك فى الحقيقة يشكل قاعدة ودعامة رصينة وقوية لمثل هذا الزواج .. وبالطبع فإن هذا الزواج لا يمكن أن يتم إلا بعد حدوث القبول المبدئى .. وموضوع هذا القبول يحتاج إلى وقفة تفصيلية .. هذا القبول لا يتم بناء على المرات القليلة أو الساعات القليلة التى التقيا فيها وقررا بعدها الزواج .. إن هذا القبول له رصيد تاريخى ويعتمد على خبرة إنسانية سابقة أسهمت فى خلق تصور معين لشريك الحياة ..فهو يعرفه قبل أن يلقاه .. والقبول معناه أنك أنت الذى كنت مرسوما فى خيالى .. وهو شىء يشبه الحب من أول نظرة إلا أن الحب من أول نظرة يتم بشكل تلقائى وبالصدفة وغير مرتب .. أما القبول فيتم بناء على ترتيب خاص .. ولكن النتيجة تكون واحدة .. فالقبول هو شكل من أشكال بدايات الحب .. القبول هو مشروع حب .. هو البذرة الأولى التى تم غرسها فى أرض تنبىء بأنها طيبة لأن

هناك نية صادقة فى الزواج وأن الاختيار أيضاً تم بعد أن توافرت شروط معينة اشترطها كل طرف من البداية .. ولعل هذا يضمن حدا أدنى من النجاح المبدئى على ألا يكون هناك خداع أو غش ..

وهذا الأمر المتعلق بالشروط لا يتوافر حين يقع الحب قبل الزواج لأن الحب يتغاضى عن العيوب ويغفل الشروط .. إلا أن هذه العيوب التى أسقطها العاشق قد تكون مصدر إزعاج بعد الزواج .. وما يظنه الإنسان هيناً قبل الزواج قد يبدو مجسماً وكبيراً بعد الزواج ..

إذن تتوافر للزواج الذى تم بدون قصة حب تسبقه ثلاث دعائم :

● أولاها : القبول وهو مشروع حب وليد .

● ثانيها : النية الصادقة فى الزواج كهدف أساسى وبالتالى بذل الجهد للحفاظ عليه .

● ثالثها : أن هناك حدا أدنى على الأقل من الشروط التى افترضها ووضعها كل طرف وقبل على أساسها إكمال وإتمام الزواج والتى تضمن حدا معقولا من التفاهم فى البداية .

إلا أن المشاكل تبدأ أسرع فى حالة الزواج الذى سبقته قصة حب وذلك لسببين :

● أولهما : التوقعات .. فكل طرف يتوقع أن الطرف الآخر سيبذل الجهد الأكبر وسيعطى أكثر ويتحمل أى معاناة دون شكوى أو تضرر .. لأن الافتراض الطبيعى أن الحب يجعل الإنسان يبتلع أى حصوات تأتى مع الطعام حيث تطغى لذه الطعام . المشكلة هنا أن كل طرف يكون واثقاً بلا حدود أن الآخر سيتحمله .. أى هو أمر مضمون ولذلك قد يتكاسل عن بذل أى جهد ..

● ثانى هذه الأسباب أن ما تم التغافل عنه من عيوب قبل الزواج قد يكون هو الصخرة الحقيقية التى تتكسر عليها بعض المشاعر بعد الزواج وتسبب ألماً .. واستمرار هذا الألم قد يكون مدعاة للثورة والاعتراض والرفض ..إلا أن الفضيلة الأساسية فى الزواج المسبوق بحب هو أن كل شىء كان مكشوفاً ومعروفاً وهذا يدعو إلى طمأنينة نسبية .. وذلك مالا يتوافر فى الزواج غير المسبوق بقصة حب .. إذ إن هناك أمورا قد تكون مخفية بدون عمد لم يتح الوقت الكافى لمعرفتها أو أن هناك أمورا تم إخفاؤها بعمد أى نوع من الغش ويتم اكتشافها بعد الزواج فيصاب الإنسان المخدوع بالصدمة وقد ينتهى الزواج سريعاً إذا كان هذا الشىء المخفى عن عمد جسيماً ..

إدانة الحب

وهل يوجد حب مدان ؟ أليس الحب هو الخير والجمال ؟ أم أن هناك أنواعا مرفوضة وبالتالى مدانة ومن الذى يدين ؟

● الإدانة أولاً قد تأتى من الخالق عز وجل الذى وضع القوانين للبشر لتنظيم حياتهم وعلاقاتهم .. فهناك الحلال والحرام .. الفضيلة والخطيئة .. وكل ما هو حلال من شأنه أن يصلح حال العباد .. وكل ما كان حراماً وخطيئة فإنه يسىء للإنسان ويتعس حياته .. وتقوى الله فى الالتزام بتعليماته والامتناع عن نواهيه والتحلى بالفضيلة والاستمتاع بحلاله ونبذ الحرام والبعد عن الخطيئة .. فما هو الحب الحلال ؟ وما هو الحب الحرام ؟

● والإدانة ثانيا تأتى من المجتمع .. فلكل مجتمع ثقافته أى

مفاهيمه وفكره وفلسفته ورؤيته للحياة والتى تنبثق منها العادات والتقاليد والأصول والاعراف وبذا يتحدد ما هو مقبول وما هو مرفوض .. ما هو مستحسن وما هو مدان .. ما هو مرحب به وما هو منبوذ .. ومن يخرج عن قوانين المجتمع يعاقب .. والعقاب قد يكون وفقا للقوانين الوضعية التى يضعها المشرعون أو يكون عن طريق الاستنكار والنبذ .. أى عزل المخطىء كمريض يخشى من انتشار مرضه عن طريق العدوى ..

وبذلك يصبح الحب صعباً أو مستحيلاً لأنه محرم ومؤثم ومُجّرم .. ويصبح العاشق هنا مخطئاً يستحق السجن أو الرجم أو النبذ .

المشكلة التى أمامنا فى هذا الصدد أن الثقافات تختلف فيما بينها اختلافا بيّناً فى موقفها من الحب كبداية ثم من أشكاله أو صنوفه أو أحواله المختلفة .

فقد يكون مقبولاً فى ثقافة معينة تسود مجتمعاً معينا .. الحب ثم الزواج من دين مختلف .. إلا أن هذا قد يكون مرفوضاً دينياً فى أى مكان فى العالم ..

وقد يكون مقبولاً فى ثقافة معينة تسود مجتمعاً معينا .. الفروق الشاسعة فى العمر بين الحبيبين والزوجين .. فيحب رجل فى السبعين ويتزوج فتاة فى العشرين .. أو قد تحب امرأة فى الخمسين شابا فى الثلاثين ولا يتعرضان لأى إدانة اجتماعية ..

وقد يدان هذا الوضع فى مجتمعات أخرى .. بينما لا توجد أى إدانة دينية ..

أما الفروق الاجتماعية الشاسعة بين الحبيبين والزوجين فمرفوضة رفضاً تاماً فى بعض المجتمعات .. فلا يسمح للرجل أو المرأة بالزواج من طبقة اجتماعية أقل أو ممن ليس له عائلة أو قبيلة معروفة .. بينما هذه النظرة ليست موجودة فى حضارات أخرى سواء أدنى أو أعلى .

وفى بعض الثقافات التى تؤمن بحرية الفرد المطلقة فى ظل الديمقراطية وبالتالى حريته فى جسده فإنها تسمح بالعلاقات الجنسية قبل الزواج .. بينما هذا محرم إلى حد العقوبة بالقتل فى بعض المجتمعات الأخرى .

وأيضاً بعض القوانين فى بعض البلدان تسمح بأن يعيش اثنان معاً رجل وامرأة بدون زواج . بل ويسمح للمرأة بأن تنجب من رجل مجهول ويسجل الطفل باسمها فقط ..

وبعض الأديان تسمح بالطلاق والبعض الآخر لا يسمح ..

بعض المجتمعات تحرم الحب ذاته قبل الزواج .. بل لا تسمح بمشاهدة الرجل للمرأة إلا فى ليلة الزفاف .

بعض المجتمعات تتسامح فى مسألة عذرية الفتاة .. وفى بعض المجتمعات الأخرى تكون عقوبة الفتاة غير العذراء القتل أو الطلاق منذ الليلة الأولى .

بعض المجتمعات تتساهل فى تعددية العلاقات بالنسبة للرجل وتأخذ منها موقفاً معارضاً بالنسبة للمرأة ..

إذن البشر غير البشر .. أى أن توحدهم بيولوجيا لا يعنى اتفاقهم حول كل شىء .. بل هم يختلفون ويتفقون حسب ثقافاتهم وحضاراتهم وبيئاتهم المختلفة ..

إلا أن كل المجتمعات وكل الأديان اتفقت على شىء واحد وهو إدانة الخيانة بكل صورها .. لأن الأمر هنا لا يرتبط بالحب والزواج فقط ولكنه يرتبط بكل مناحى الحياة فى علاقة الإنسان بالإنسان .. أى الخيانة بشكل عام .. وليس فى إطار الحب والزواج فقط .. ولأن الخيانة تنطوى على كل الرذائل كإهدار الشرف والكرامة والاعتزاز بالنفس واحترام الذات والثقة بالنفس وكذا إهدار الأمانة واختفاء الطمأنينة وأيضاً تنطوى على الغش والخداع والتزييف .. وبذلك تصبح الخيانة هى المقابل السلبى للحب .. فالحب ينطوى على كل الفضائل السامية والقيم العليا مجتمعة .. بينما تنطوى الخيانة على كل القيم الهابط والرذائل السفلى ..

ومن يخون فهو لا يحب .. ومن يحب فهو لا يخون .

هل يوجد بعض الاستثناءات ؟

إذا كان الأمر يتعلق بالإنسان فلابد من الاعتراف ومن ثم

القبول أو التقبل للضعف البشرى .. ولذلك نحت الإنسان كلمات كالزلة والسقطة والنزوة وجعلها كلها أشياء عابرة يعود من بعدها تائباً مستغفراً .. فهل يملك الإنسان الآخر (وهو ضعيف أيضاً) القدرة على التسامح مع إنسان أحبه ولكنه خانه ..

إن الحقيقة غائبة .. ولا يملك أحد إجابة دقيقة .. ولا بد أن نعترف بحيرتنا .. ولا بد أن نزن كل حالة بميزان خاص .. ولا يجوز التعميم إذا كانت القضية تتعلق بالإنسان .

لا أحد يعرف حقيقة الحب الذى ينشأ بين اثنين من دينين مختلفين .

ولا أحد يعرف حقيقة الحب الذى ينشأ بين رجل مسن وفتاة صغيرة أو العكس .

ولا أحد يعرف حقيقة الحب الذى ينشأ بين رجل من عائلة كبيرة وفتاة من عائلة متواضعة أو العكس ..

يعترض الأهل أحيانا وبشدة على زواج ابن لهم من فتاة سيئة السمعة لها ماض أسود مؤكد ، ارتكازا على مفهوم سائد وهو أن السيىء لا ينصلح حاله أبداً وأن المجرم لا يتوب .. فهل يستطيع أحد أن يجزم أن هذه الفتاة لن تكون زوجة صالحة لهذا الرجل !! أليس الحب قادرا على أن يطهر نفس الإنسان

ويهذب سلوكه ويزرع داخله قيم الأمانة والوفاء .. أين الحقيقة ؟ لا أحد يعرف على وجه التحديد .

وإذا كانت كل الأديان وكل المجتمعات تدين الحب المحرم أى حين يحب رجلاً امرأة متزوجة أو العكس فلماذا إذن يقع بعض الناس فى هذه الورطة رغم علمهم بالتحريم والإدانة .. هل هم منحرفون بطبيعتهم أم أن الهوى غلاب .

إن حالات الحب المحرم والحب الصعب والحب المستحيل كلها تدل على ضعف الإنسان وقلة حيلته وعجز إرادته وتدل أيضاً على غلبة مشاعره وسيطرتها على كل منطق .

الحب الخانق

هناك عدم دقة فى هذا العنوان .. فالحب لا يكون خانقا .. الحب ليس حبلاً يلتف حول الرقاب .. الحب ليس حجراً يوضع على الصدور .. بل الحب طمأنينة وفرحة تتسع فيه الشعب الهوائية لتستقبل هواء نقيا معطرا وهو فى طريقه إلى الصدور العاشقة بكل الزهور وحمل منها ما حمل .

والحب حرية لأنه يستند على الثقة المطلقة .. لا توجد لمحة شك واحدة فى الحب الحقيقى .. ولذا فأنت لا تخاف .. لا تنظر خلفك ولا تتلفت حولك .. لا تتوجس ولا تراقب ولا تتسمع .. ولذا فأنت تكون على طبيعتك .. تكون نفسك الحقيقية .. تتحرك بثقة .. لا تؤلف سيناريوهات ولا تخترع حكايات .

وإذا شعر الإنسان فى علاقة الحب بالاختناق فهو ليس حباً .. لم يكن حباً . أو هو حب مرضى .. والحب المرضى هو الحب المشوب بالخوف وعدم الثقة .. فى الحب المرضى يحب الإنسان نفسه أكثر مما يحب محبوبه .. فى الحب المرضى لا ينام الإنسان مستريحاً ويشعر بالقيود والاختناق .. وليت الأمر يقتصر على الغيرة ، فالغيرة هى الوجه الآخر للحب وإن تعددت درجاتها ولكن يتعدى الأمر إلى مستوى الشك .. والشك والحب لا يجتمعان .. الشك يمحو الحب .. فإذا شعر المحبوب أن حبيبه يشك فيه تتجمد عواطفه تدريجياً .. لأن الشك هو إهدار للذات الجميلة التى هى مبعث الحب .. أنت تحب إنساناً معناها أنك تحب طاقات الخير والجمال التى عثرت عليها فى داخله .. أنت تراه رمزاً للحق والعدل والوفاء والأمانة .. أنت تراه ثريا نبع الخير والنماء .

فإذا ظننت به الظنون فهذا معناه أنك غير متأكد من درجة نقائه .. معناه أنك لا ترى بوضوح حقيقة داخله الجديرة بالحب .. وهذا يسبب ألماً للمحبوب ويفرش بقعة من السواد داخل النفس تسرق بعضاً من النور الذى يضىء قلوب وصدور المحبين .

والذى يشك يراقب ويحاسب . ويقسو أيضاً .. ويشعر المحبوب بهذه المراقبة والمتابعة وأنه باستمرار متهم وأن الخطيئة قريبة منه .. فتهتز ثقته بالحب ذاته .. وتتراجع مشاعره الفياضة ويشعر بالاختناق .

والذى يشك تكون لديه مشكلة مع نفسه .. الذى يشك يرى نفسه غير جدير بإعجاب محبوبه .. يرى فى نفسه نقصاً وعيباً .. يرى الآخرين جديرين بالحب وقادرين على غزو محبوبه وإزاحته من موقعه .. ولهذا فهو يود لو سجن محبوبه ، لو أخفاه عن عيون كل الناس .. وقد يصل الأمر إلى حد الاتهام المباشر .. ليس اتهاماً بأن محبوبه قد أخطأ فعلاً ولكنه اتهام بأنه قابل لأن يخطىء .. بأنه لو أتيحت له الظروف لهرب من العش وتآلف مع طير آخر .. اتهام صريح بأنه يشك فى صدقه وأمانته ووفائه وإخلاصه وصلابته .. إنه هنا يهدر إنسانيته لأن إنسانية الإنسان تقوم على مجموعة القيم التى تحدد علاقته بمن يحب وتحدد علاقته بالآخرين : وهذه أسوأ أحاسيس من الممكن أن يحس بها الإنسان .. والأمر لا يقتصر فى هذه الحالة على أن المحبوب يفقد ثقته بنفسه ويفقد ثقته بالإنسان الذى أحبه وإنها المصيبة الكبرى فى أن يفقد الإنسان ثقته بالحب .. وهنا مرض الإنسان .. يشعر بالمرارة .. يشعر بالغثيان .. تنتابه الآلام فى جسده .. وتنتابه

آلام من نوع آخر فى نفسه وأهمها الشعور بالاختناق .. وقد يصل الاختناق إلى حد التهديد بالموت وهنا يفكر الإنسان جدياً فى الهروب .. قد يموت الحب تماماً وقد يبقى منه شىء ولكن فى كلتا الحالتين يود الإنسان لو هرب .. وقد يبدأ فى التفكير الجدى فى الخلاص وإعداد العدة لهذا الهروب الذى ينهى الحياة المشتركة حتى وإن كانت طويلة .. فالإنسان لا يقدر أن يعيش طول عمره وهو محل شك وعدم ثقة وعدم احترام وعدم تقدير .. إن ما يجنيه الإنسان من علاقة الحب هو أن يرى نفسه ملكاً .. يرى نفسه فى القمة .. يرى نفسه أحسن الناس وأجملهم وأفضلهم .. فى علاقة الحب يشعر الإنسان أنه مختار .. يشعر أن حبيبه قد فضله على كل الناس .. فى علاقة الحب يشعر الإنسان أن حبيبه هو الوحيد الذى اطلع على داخله .. أى أنه انكشاف من الداخل لكلا الاثنين معاً .. وإنه بذلك أتيح له أن يكون الوحيد الذى شاهد جماله الحقيقى .. والجمال الحقيقى هو جمال الروح .

ولكن إذا تسرب الشك إلى الحب فإن الإنسان يشعر بنفسه مشوهاً .. ولا يوجد إنسان يرضى بأن تكون صورته مشوهة .. ولهذا فهو يهرب مهما كانت الخسائر .. ولا توجد خسارة أسوأ من أن يرى الإنسان نفسه مشوهاً .

وقبل أن يصل الإنسان فعلاً إلى قرار الهروب فإنه يمرض .. يمرض جسدياً ويمرض نفسياً .. يشعر الجسد بالفتور وسرعة التعب والإجهاد والإعياء والآلام فى كل موضع .. وأهم الأعراض هى الفتور الجنسى .. عدم الرغبة .. ويزداد الأمر صعوبة .. وذلك لأن الإنسان الذى يشك تزداد شكوكه إذا أبدى شريكه عدم حماسه الجنسى .. فى هذه الحالة تتعاظم ظنونه وأول خاطر يرد على ذهنه أن محبوبه على علاقة بإنسان آخر .. ولهذا فهو يصر على ممارسة الحب .. بينما الطرف الآخر يرفض أو يبدى اعتراضاً مهذباً أو يضطر للقبول وهو مكره .. وذلك فى حد ذاته يسبب مرضاً .

ومن الأعراض الأخرى فقدان الشهية للطعام وفقدان الوزن والشحوب وعدم التركيز والعصبية .

تعانى المرأة فى هذا الموقف أكثر لأنها تكون الجانب الأضعف المشكوك فيه .

ويعانى الرجل كذلك من شك امرأته فمن الأشياء القاسية على الرجل أيضاً أن يكون موضع اتهام وقد يؤثر ذلك على عمله وأدائه وتركيزه .

أما الغيرة فأمر مختلف تماماً لا توجد بينها وبين الشك ثمة

صلة إلا أن الشكاك يدعى دائما أنه يغير فقط ولا يسيء الظن .. وهذا غير حقيقى ففى الشك إدانة أما الغيرة فهى خوف .. يخاف المحب أن يفقد مكانته عند محبوبه .. المحب يود أن يكون الأول والأوحد والأفضل والأجمل والأعظم لدى محبوبه .. لا يريد أحداً ينافسه على موقعه .. إذن جوهر الغيرة هو الخوف والقلق ولكنها لا تتناول إطلاقاً درجة الإخلاص والوفاء .. والغيرة لا تعنى ضعف الثقة بالنفس إذا كانت فى الحدود الطبيعية .. وكل حب ينطوى على غيرة لأن الحب هو أعلى درجة فى خصوصية علاقة إنسان بإنسان أخر وهو أعلى درجة من الاقتراب وهو أعلى درجة من درجات انفتاح كل طرف على الطرف الآخر من الداخل . فكيف نسمح لطرف ثالث من الاقتراب !! وهذه طبيعة فى كل مخلوقات الله .. والغيرة قد تأخذ طابع العنف عند الذكور فى الطيور والحيوانات فالذكر لا يسمح لذكر أخر بالاقتراب ويعتدى عليه بعنف ليبعده وذلك يعنى الخصوصية المطلقة .. أما الغيرة فى الإناث البشرية فتأخذ حجماً كبيراً وقد تصل إلى أبعاد مرضية تهدد الصفاء وتعكر الهناء .. والأبعاد المرضية فى الغيرة تعنى فرض الحصار وبناء السياج وقفل الأبواب والشبابيك ومنع النور والهواء .. وذلك يؤدى فى النهاية إلى الإحساس بالاختناق الذى يغرى بالهروب ويصبح

السجن حينئذ أكثر رحابة .

إذن الغيرة المرضية تقود إلى نفس نتائج الشك إلا أنها ليست جارحة وليست مهينة .. الغيرة المرضية تسبب ضيقاً أما الشك فيسبب ألماً موجعاً .

والغيرة الزائدة إلى حد المرض قد تكون سمة من سمات بعض الشخصيات كالشخصية الهستيرية والشخصية النرجسية أما الشك فهو سمة أساسية فى الشخصية الاضطهادية والتى تعرف أيضاً باسم البارانويد .. والمحور الأساسى لفكر ووجدان وسلوك هذه الشخصية هو الشك وسوء الظن وتوجيه الاتهامات القاسية والجارحة والعدوانية والنقد اللاذع والتهكم والسخرية .. والحياة مع صاحب هذه الشخصية صعبة ومضنية ولا ينعم فيها الطرف الآخر وهو الضحية بالشعور بالتقدير والثقة والطمأنينة وإنما هو دائما مدان ومتهم ومشكوك فى نواياه وسلوكه .

واضطرابات الشخصية قد ترجع أسبابها إلى عوامل وراثية وأخرى عضوية بيولوجية فى مخ الإنسان .. وأيضاً ترجع الأسباب إلى عوامل مبكرة فى مراحل العمر الأولى تتعلق بالتربية والتنشئة .. فالبذور الأولى لعدم الثقة بالنفس قد يتم غرسها عند الطفل وذلك حينما يتعرض للنبذ والإهانة والتوبيخ والتجريح وعدم

التقدير وأن تعقد المقارنات بينه وبين غيره فيصير قلقاً مهزوزاً وترسخ لديه مشاعر عدم الثقة بالنفس ويتسم سلوكه بعد ذلك بالغيرة والأنانية وردود الفعل المبالغ فيها .. يعانى الإنسان من هذه المشاعر فى طفولته وتظل معه حتى يكبر وتتضح أكثر ما تتضح فى علاقاته بزملائه فى العمل فيكون كثير الشكوى منهم معتقداً أنهم يغيرون منه ويحقدون عليه ويتعمدون إيذاءه ويتمنون الضرر له .. وأحياناً يتهمهم بأنهم يسخرون منه ويقللون من شأنه وبذلك يجد تبريراً لسلوكه العدوانى تجاههم .

تسيطر عليه مشاعر الاضطهاد التى تجعله فى حالة تحفز دائم وجاهز لتوجيه سهامه نحو الآخرين مسقطاً عليهم أسوأ الصفات والاتهامات .

إن سلاحه الأساسى هو الإسقاط أى اتهام الآخرين بما ليس فيهم ويسقط عليهم ما بداخله أى صفاته هو وذلك دفاعاً عن نفسه .. وهذا هو مصدر الشك وسوء الظن .. فالجميع لديه مدانون متهمون .. وبذا يثير القلق والتوتر لدى من حوله من الناس الذين يتعاملون معه يومياً ويضعهم دائماً فى موقف الدفاع عن أنفسهم لإثبات حس نواياهم .

هذا الموقف يسبب كثيراً من الازعاج لشريك الحياة وتتراجع

تدريجياً المشاعر الإيجابية والتى قد تصل إلى درجة الصفر وهنا يصبح استمرار الحياة عبئاً مستحيلاً .

والأمر يتوقف فى النهاية على مدى تحمل الطرف الآخر أى الزوج أو الزوجة وعلى درجة المعاناة وعلى وجود جوانب أخرى إيجابية تعوض قدراً من المعاناة وتجعلها محتملة ومدى الظروف الشخصية للطرف الآخر وقدرته على الانسحاب .. فإذا كان هذا الطرف الآخر أصبح لا يحتمل هذا الشكل من الحياة القائم على الشك ، وإذا كان يستطيع أن يستقل بحياته ، والأهم من ذلك إذا كان الحب قد نضب تماماً فإنه يصر إصراراً كاملاً على الانفصال .

الحب والعنف

كيف لنا أن تصور حباً مصحوباً بالعنف والقسوة والإيذاء البدنى أو النفسى أو كليهما معاً .. هذا أمر يبدو غير مصدق .. فأساس الحب الرحمة والحنان .. الحب يخفف الآلام ويشفى الجروح ويبدد الخوف .. إذاً لماذا يكون المحب عنيفاً وقاسياً فى بعض الأحيان .. ؟ وكيف يتقبل المحبوب هذه القسوة ويستمر فى حبه ؟

الحقيقة أننا نتحدث هنا عن صورة مرضية تسمى السادية – المازوخية Sado - masochism .

والسادية هى التلذذ بإحداث ألم لدى الآخرين والمازوخية هى

التلذذ بوقوع الألم على الذات .

وهناك ثلاث نقاط لابد من إبرازها فى هذا الشأن :

١ - أن الرجال عموماً يتميزون ببعض السادية والنساء ببعض المازوخية .. وسادية الرجال تتبدى فى حب السيطرة والتحكم وفرض الأوامر وإخضاع الآخرين وإضعافهم والصرامة والحزم المبالغ فيهما أحياناً .. ولكن ليس إلى حد الإيذاء والتلذذ بتعذيب الآخرين .

٢ - أن السادية - المازوخية ارتبطت بالجنس الآخر ويقصد هنا اللذة الجنسية الفائقة المصاحبة للسادية أو المازوخية .. وقد تكون لذة قائمة بذاتها أى ليس بالضرورة أن يعقبها اتصال جنسى إذ يكفى الموقف لإحداث اللذة الجنسية النهائية أى الذروة ويكتفى الإنسان بالموقف السادى - المازوخى والذى يشتمل على الضرب والإهانة والتعذيب وأحياناً يصل الإيذاء الجسدى إلى حد إسالة الدماء .. والتحليل النفسى للسادية - أى السادى - يخشى من اعتداء الآخرين وبتر أعضائه التناسلية ولذا يبادر بالاعتداء على الآخرين وكأنه يقول لنفسه : « أنا المعتدى وليس المعتدى عليه » . أما المازوخى فإنه يتوحد مع شخصية السادى الذى يعتدى عليه وبذلك يتخلص من الخوف المصاحب للتوقع والتحفز .

وعادة ما تجتمع السادية والمازوخية فى شخص واحد وتكون المازوخية هى الأساس .. وهنا يبدو الإنسان السادى وكأنه يستفز الآخرين بساديته أى باعتدائه عليهم بالإهانة أو الضرب ليحفزهم للاعتداء عليه وبذلك يسعد بالمازوخية .. وعادة ما نرى ذلك فى المرأة المتسلطة التى تحب السيطرة والتحكم فى الآخرين وإذلالهم والتى تعشق القيادة والإدارة ، أى فى النهاية يكون البشر تحت سيطرتها .

ثم تتعمد إيذاءهم وجرح مشاعرهم واستفزازهم إلى أقصى درجة.. فإذا كانت قسوتها على النساء الأخريات أكثر فهذا معناه أنها تدعوهن للقسوة عليها وبذلك تكون ذات ميول مثلية أى تستشعر اللذة الجنسية مع النساء .. أما إذا كانت قسوتها على الرجال أكثر لتحثهم على معاملتها بالمثل وإهانتها والقسوة عليها فإنها تكون ذات ميول جنسية ناحية الرجال .

وقد يتلذذ الرجل بدرجة فائقة حين يقسو عليه رجل أكثر .. وهنا نشك فى ميول جنسية مثلية أى شاذة .. وقد يتمتع الرجل بقسوة امرأة عليه وإهانتها له وهو هنا يكون بريئاً من الشذوذ .. إلا أنه يعانى من شذوذ من نوع آخر وهو المازوخية .

٣ - أما النقطة الثالثة التى تجدر الإشارة إليها أنه بعيدا عن

الجنس فإنه فى علاقة الحب الخالصة نجد بعض الملامح السادية - المازوخية حين تستمتع المرأة بخضوعها للرجل .. وهو ليس خضوع العبودية وتقبل الذل ولكنه خضوع التسليم .. تسليم المشاعر .. أى يصبح الرجل الذى تحبه هو محور حياتها وهو الأساسى ويأتى فى مقدمة حياتها ويتراجع إلى الخلف أى طموح لها .. وبذلك نكون أمام نوعين من النساء : امرأة تقدم علاقتها بالرجل على أى طموح آخر وبالتالى فهى تتمنى أن تقع فى حب رجل وأن يحبها رجل وأن تصبح زوجة وأماً وهذا لا يمنعها من أن تعمل وتتوقف وأن تحقق طموحاً اجتماعياً مهنياً ولكن ليس على حساب استقرار حياتها العاطفية والأسرية .. ومثل هذه المرأة تسمح للرجل بالقدر من السادية الذى يرتبط بالحب مثل احتوائه للمرأة وحمايتها ورعايتها وأن يتولى هو القيادة بمشاركتها .

أما النوع الثانى فتجسده هذه المرأة الطموحة إلى أقصى حد مهنياً واجتماعياً وتدخل فى منافسة حادة مع الرجل حتى ولو كان شريك حياتها .. ويكون همها التفوق والتميز وأن تكون الأولى وأن تتحكم وتسيطر وبالتالى يحتل الرجل فى حياتها أهمية ثانوية ويصبح باهتاً هامشياً وتكون هى القائدة وهو التابع لها .. وهذه المرأة على استعداد لأن تضحى بحياتها العاطفية

والأسرية إذا كان ذلك سيعوقها عن تحقيق طموحاتها الاجتماعية والسياسية والمهنية .

والحقيقة أن هذه ميول فطرية لا يمكن الحد منها أو تعديلها وقد تظهر بوضوح فى مراحل مبكرة من العمر وينعكس ذلك فيما بعد على اختيار كل طرف لشريك حياته الذى يتفق مع ميوله واستعداده الموروث والذى يحقق له الإرضاء المعنوى وربما الجنسى أيضاً .

وبالمثل فإن هناك رجلا يسعد بخضوعه وتبعيته للمرأة التى يحبها ويتخذها أماً له ولا يرضى بامرأة تخضع له وتجعله هو القائد بل هو يسعى إلى المرأة ذات الشخصية القوية المسيطرة ليدخل تحت نفوذها ويسير خلفها ويدع لها زمام الأمور .. فهى التى تخطط وتتخذ القرار وهى التى تقوم بالتنفيذ أيضاً .. بل إن بعض الرجال يبحثون عن امرأة مشهورة للزواج منها .. ويقدم نفسه باستمرار للآخرين على أنه زوج فلانة المعروفة .. وقد يعجب بعض الناس لذلك .. إذ إن الناس تعتقد أن الافتراض الطبيعى أن يكون الرجل هو الذى فى المقدمة وأنه يرفض أن يكون تابعاً هامشياً .. إلا أن الحقيقة أن ذلك يرضى هذه النوعية من الرجال إرضاءً شديداً وينعمون بهذا الشكل من العلاقة الذى يجعلهم يشعرون بالأمان والاستقرار .. وعلماء التحليل النفسى

من المدرسة الفرويدية وضعوا تحليلاً قد يبدو غريباً لهذا النوع من الرجال : وهو أن هذا الرجل الذى يسعى للزواج من امرأة قوية مسيطرة ويسمح لها بل هو يدفعها للتحكيم فيه إنما هو يعانى من عقدة الإخصاء وهى أن المرأة قد تم عقابها بإزالة الأعضاء التناسلية التى كانت عندها مثل الرجل . ولهذا فهو يبحث لا شعورياً عن امرأة تتميز بصفات الرجال وهى السادية والقوة والسيطرة وبذلك يتصور لا شعورياً أيضاً أنه لم يتم إخصاؤها وأنها تتمتع بأعضاء تناسلية ذكرية مثل الرجال .

أما التحليل الأقل تطرفاً فيطرح فكرة الابن المتعلق بأمه والذى عاش مع أم مسيطرة وأب هامشى .. وأن الزوجة بالنسبة له هى بديل الأم واستمرار لها .

الحب الصامت

ليس كل الناس قادرين على التعبير عن عواطفهم .. هناك درجات من هذه القدرة من المبالغة أو الإفاضة أو الإغراق إلى الصمت الكامل.. أى هناك الحبيب الدافىء داخلياً وخارجياً والقادر على نقل أحاسيسه الملتهبة إلى محبوبه .. وهناك الحبيب المشتعل داخلياً والبارد خارجياً الذى لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة معبراً عن عواطفه لمحبوبه .. ويبدو وكأنه متبلد الوجدان إلا أنه فى الحقيقة عكس ذلك .

وهذا معناه بوضوح أن التعبير الخارجى ليس بالضرورة أن يكون مطابقاً للمشاعر الداخلية .. فقد تكون فى قمة الشعور

بالحب ولكن تعبيرك محدود .. وقد تكون مشاعرك الحقيقية محدودة ولكن تعبيرك مبالغ فيه .. والمبالغة فى التعبير عن المشاعر دائماً ما نشك فى حقيقتها .. شدة المبالغة تعنى قصوراً داخلياً .. وهذا ما نسميه بلغة علم النفس رد الفعل المخالف أو المعاكس Reaction Formation والقصد منه أن الإنسان يبالغ فى سلوك ما أو فى التعبير عن شعور ما وذلك عكس ما بداخله تماماً .. وهو أيضاً موقف لا شعورى .. أى أن الإنسان لا يكون مدركاً لحقيقة سلوكه .

والمشكلة الحقيقية ليست فى الذين يبالغون وإنما فى الصامتين هؤلاء الذين لا يجدون الكلمات التى يعبرون بها عن مشاعرهم أو الذين يجدون حرجاً شديداً فى الإفصاح عن عواطفهم .

قد يرتبط هذا بنوعية معينة من الشخصيات .. فهناك شخصية تعرف باسم الشخصية الانطوائية Schizoid Personality وهو ذلك الإنسان الخجول الحساس الذى يفضل الوحدة ويبتعد عن المناسبات التى تحظى بكثير من الناس ويسعد أكثر بالنشاطات الانفرادية فالقراءة وسماع الموسيقى .. ولا يكون له إلا صديق واحد أو اثنان على الأكثر وهواياته دائماً فردية كما يجد صعوبة

شديدة فى التعامل مع الجنس الآخر ولذا فإن مشكلته الكبرى تكون حين تتشكل عنده عاطفة معينة ولا يعرف كيف يعبر عنها .. وقد يظل وقتاً طويلاً دون أن يتشجع ويعترف بعواطفه .. وقد يبدو من الخارج وكأنه متبلد وجدى وهذا عكس ما يشعر به حقيقة .. ويتعذب هذا الإنسان بحبه دون أن يشعر به أحد .. وقد يتقدم الطرف الآخر نحوه والذى قد يحمل له عاطفة مماثلة إلا أن الشخص الانطوائى يظل يجد صعوبة فى التواصل .. وطبعاً المشكلة الكبرى أن يتمتع الاثنان بالشخصية الانطوائية وهنا يكون من الصعب جداً أن يسعدا بعواطفهما .. وأحياناً يمثل عدم القدرة على التعبير عن العواطف إعاقة كلية تحرم الإنسان من متعة التبادل العاطفى سواء مع الأصدقاء أو مع شريك حياته .. وقد يشكو هذا الشريك من صمت الطرف الآخر وبروده وبالتالى عدم الإشباع العاطفى مما يخلق كثيرا من المشاكل فى العلاقة الزوجية .. وخاصة مع الزوجة التى تحتاج أكثر إلى التعبير المباشر من الرجل وكأنه نوع من التأكيد والطمأنينة .

ويبدو أن كل إنسان يحتاج إلى هذه النوعية من التأكيدات سواء إذا كان رجلاً أم امرأة .. إنه القلق الداخلى .. الخوف .. عدم الطمأنينة .. الإنسان يحتاج دائماً من شريك حياته أن

يطمئنه.. أن يقول له احبك .. بل سأحبك طول العمر .. إننى لا أستطيع الاستغناء عنك .. أنت محور حياتى .. بل انا لا أستطيع أن أعيش بدونك .. والمعنى الخفى هنا أننى لن أتركك .. لن أتخلى عنك .. سأبقى بجانبك.

هذا احتياج إنسانى طبيعى تختلف درجاته حسب درجة القلق وحسب درجة وحجم الجوع العاطفى الذى عانينا منه فى مراحل نمونا النفسى المختلفة ودرجة الإحباطات التى واجهناها .

وكما قلنا أن المرأة أشد احتياجاً من الرجل .. ولهذا فهى تطالب بشدة بهذا الحق .. إنها تعتبره حقاً .. وتغضب من الزوج الذى يهمل فى هذا الواجب العاطفى .. ولذلك فهى تسأله دائماً : هل تحبنى ؟ أو تطلب منه أن يقول لها : أنا أحبك .

وقد يطالب الرجل بنفس العبارات ويسأل نفس الأسئلة التى تعبر عن قدر كبير من القلق .

ولكن على كل طرف أن يقدر مدى استطاعة الطرف الآخر على التعبير عن عواطفه .. وأن يتلمس هذه العاطفة دون الاحتياج إلى كلمات مباشرة .. فأحيانا يكون التعبير غير اللفظى أقوى من الألفاظ .. وهناك ثمة رسالات غير مرئية وغير منطوقة يتبادلها

المحبون ويتبادلها الأزواج .. رسالات تحمل أصدق العواطف .

والصمت قد يجتاح الحياة الزوجية .. صمت من الطرفين فلا يتبادلان إلا الضرورى من الكلمات المتعلقة بشئون حياتهما .. وقديماً قالوا إن هناك بلاغة فى الصمت .. أى أن الصمت قد يكون أحياناً أكثر وأدق تعبيراً من الكلمات المنطوقة .. والحقيقة أن هناك نوعين من الصمت أحدهما صمت طيب والآخر صمت سيىء وردىء .

الصمت الطيب هو الذى لا يكون عن عمد ولا عن ملل ولا عن عدم ألفة ولا عن إحساس بالضيق .

الصمت الطيب هو صمت تلقائى طبيعى يعنى أعلى درجات الطمأنينة والثقة .. يعنى الارتفاع فوق مستوى الكلمات إلى المشاعر اليقينية بسمو مكانة كل منهما عند الآخر .. إنها مرحلة النضج الكامل .. والصمت يعطى فرصة أكبر للتأمل والتفكير الأعمق .. ويعنى أن الكلمات القليلة التى يتبادلانها تحمل أقوى وأجمل المعانى.. إنها القدرة والتمكن من اللغة أى استخدام أفضل وأكثر تجريداً وأعمق .

الحوار هنا يكون راقياً وثرياً ولابد أن يتناولهما معاً لا أن

يتناول فقط شئون حياتهما كما فى الصمت الردىء .. إن كلمة واحدة يقولها أحدهما عن الآخر تجعل هذا الآخر يشعر بالحنان أو الطمأنينة أو الزهو .. من المهم أن تقول كلمة عن الآخر أى عن شريك حياتك .. لابد أن تتناوله فى جملة مفيدة .. كلمة واحدة تكفى .. جملة واحدة تكفى.. المهم نبرة الصوت وتعبير الوجه اللذان يصاحبان هذه الكلمة أو هذه الجملة .. تشعر بانشراح فى صدرك فترد بكلمة مماثلة أو تصمت .. وفى الصمت تعبير .. تعبير عن السعادة وعن الامتنان وعن الرضا .

بعد سنوات من العشرة لا يحتاج الإنسان إلى كلمات كثيرة ولكن القليل الثرى يكفى .

أى اثنان فى بداية حياتهما يتكلمان كثيراً حتى يصل كل منهما إلى الآخر بشتى الطرق خشية ألا يُفهم القصد أو النية .. بعد سنوات من العشرة تتكون وسائل أخرى للتواصل ونقل المعانى ويمكن الاستغناء عن كثير من الكلمات والعبارات واختزالها واختصارها إلى مفردات محدودة تكفى لتوصيل ما يعتمل فى صدر الإنسان من مشاعر .

أما الصمت السيىء الردىء فهو الصمت المتعمد .. صمت الرفض.. صمت الملل والضجر .. صمت الفراغ العاطفى والتبلد

الوجداني وعدم المبالاة .. صمت الابتعاد عن المكان بالخيال وبالروح.. وإذا تحدثا فيكون الحديث منصباً فقط على الأحداث أو ضروريات الحياة دون أن يقول أحدهما كلمة عن الآخر أو كلمة تتناولهما معاً .

والصمت الردىء يصاحبه نظرات رديئة قد تحمل الازدراء .. وإذا نطقت كلمات فالصوت يكون أكثر رداءة وأكثر سوءا ويكفى وحده لنقل أبشع الرسائل .

ليس كل الصمت رديئا فبعضه طيب .

لا يرى .. ولا يسمع
ولكن : يحـب .. !

وبمناسبة الحديث عن الصمت فإن غياب أحد الحواس أو بعضها لا يعوق الإحساس المتكامل ببهجة الحب .. قد يكون الإنسان أصم وفى نفس الوقت أخرس .. ولكنه يعيش قصة حب رائعة مع إنسان آخر مكتمل الحواس أو يعانى مثله من نفس المشكلة .. وقد يكون الإنسان فاقداً للبصر .. ولكنه يرى الدنيا بجمالها وألوانها وأزاهيرها من خلال عينى محبوبه .. فلا يشعر بافتقاد حاسة البصر ولا تشعر وأنت تراقبهما أن هناك اختلافاً أو نقصاً .. إذ يبدو أن الحب يجب كل النواقص ويمحى أثر وجودها .. بل يكون هناك نوع من التعويض فيشعران أكثر ويستمتعان أكثر .. ويبدو أن متعة الحب لا تتركز فقط فى الحواس .. فالحواس وسيلة نقل وعادة تصاحب المتع الحسية

المادية .. أما الحب فهو أكبر من ذلك حيث يوجد تبادل وجدانى لا يعوقه افتقاد حاسة ما .. فالعين وحدها قادرة على تحقيق الإشباع القلبى والارتواء الروحى .. أو الأذن وحدها قادرة على استثارة كل الخلايا بالسعادة .. وتصدق العبارة التى تقول إن الأذن ترى والعين تسمع .. أى أن هناك اختلاطا فى الحواس فى عملية الحب .. ففى الحب تعبر للحواجز فيصبح محبوبك داخلك ، فلا تكون هناك حينئذ حاجة للعين أو الأذن .. بل الأنفاس وحدها تكفى واللمسات تكفى وأكثر .

والمعنى المقصود هنا أن قوة الحب وجبروته وطغيانه وعنفوانه يكتسح أمامه أى عقبة لمنع التواصل والاتصال والاندماج والذوبان : إذ يكفى مجرد وجود الآخر .. يكفى مجرد إدراك وجوده .. والإدراك يكون بأى وسيلة .. والإدراك معناه ترجمة الإحساس إلى معنى .. الإدراك هو معنى ما نستقبل من أحاسيس عن طريق الحواس .. إذن نحن فى علاقة الحب لا يشغلنا الإحساس المادى المباشر ولكن يهمنا المعنى الراسخ فى القلب والعقل وكل الكيان .

وقد يكون فى الحب لمسة من التصوف وهنا ينعدم دور المادة .. ينعدم دور الجسد .. يتلاشى التكوين السطحى للمحبوب ويتحول إلى فكرة .. فكرة مطلقة .. فكرة مجردة .. وهذه الفكرة تحمل معنى الجمال .. ويكون الجمال فى الاكتمال .. أى أن هذا البشر يكون أقرب إلى الكمال .. أو هو أكمل من عرفت فى حياتك .. أو أنه النموذج البشرى فى أرقى وأسمى وأجمل وأكمل صوره .. وفى هذه الحالة يكون محبوبك معك وهو غير موجود..ويكون بداخلك وهو بعيد عنك..

وتراه وهو ليس أمامك وتسمعه وهو ليس فى مرمى سمعك.. وتلمسه وتتحسسه وأنت تقبض على الهواء .

والمعنى المقصود هنا أنك فى علاقة الحب الحقيقية لا تحب كيانا ماديا فقط .. بل الحب كله لما هو داخل هذا الكيان المادى .. أنت تحب أشياء أخرى فى هذا الإنسان .. أنت تكون على اتصال بمكونات أخرى فى هذا الإنسان .. وهذه الأشياء التى تحبها لا تحتاج للحواس لتصل إليها .. أنت تصل إليها بروحك .. والروح تعبر كل الحدود .

ولذا فإن من يحب يكون فى أقرب صورة للإنسان الذى كرمه الله بالعقل والقلب أى بالفكر والعاطفة .. الإنسان حين يحب يكون فى صورته الصحيحة وحالته السوية وكينونته الجميلة البديعة الرائعة .. الإنسان يكون إنسانا وهو يحب .

الخوف من الحب

● هل يخاف الإنسان من الحب ؟

– نعم يخاف الإنسان من الحب ، وهو ليس خوفاً من الحب ذاته ولكنه خوف من مسئوليات الحب .. فالحب مسئولية .. مسئولية المشاركة .. مشاركة إنسان آخر مسئوليات الحياة .. أن يؤدى كل طرف ما عليه من واجبات ومنها أن يتحمل مسئولية الطرف الآخر .. الطرف الآخر له حقوق أو لديه توقعات .. والمحب يود لو أنه لبى احتياجات الطرف الآخر وأرضى توقعاته وأفاض له العطاء .. هذا هو شعور المحبين .. كل طرف يود أن يعطى أكثر مما يأخذ .. ولذة العطاء تفوق لذة الأخذ .

بعض الناس لا يستطيعون ذلك .. لا يقدرون على الالتزام ..

يخشون عدم الوفاء بالوعود وعدم القدرة على تحقيق التوقعات .. عدم القدرة على المشاركة .. عدم القدرة على أن يعيش حياة إنسان آخر وأن يدع الآخر يعيش حياته .. عدم القدرة على أن يتيح للطرف الآخر مساحة أكبر من نفسه ومن داخله ومن الاقتراب من محيطه الخاص جداً .

هذا الإنســـان يحـــذر أن يقع فى الحب .. وإذا أحب فـإنه لا يفصح عن حبه أو أن يتراجع فوراً ، وإذا تقدم خطوة فإنه ينسحب خطوتين ويتسبب ذلك فى معاناة شديدة للطرف الآخر .

الزواج بالنسبة لهذا الإنسان أمر مستحيل أمر شديد الصعوبة .. قد يتحمس فى البداية .ويأخذ عدة خطوات للأمام .. ولكن إذا اقترب موعد الالتزام الذى من بعده لا يستطيع التراجع فإن عقله يتفتق عن أى سبب للانسحاب .. وقد يتكرر هذه الأمر عدة مرات دون أن يدرى هو أو تدرى هى السبب فى ذلك .

وهذا أمر يحتاج للعلاج النفسى لمعرفة الأسباب الدفينة وراء الهـــروب من الحب أو بالأحـــرى الهـــروب من الزواج .. أى أن الزواج هو المشكلة الحقيقية لأنه يتضمن الحياة الدائمة مع شخص ما وصعوبة التحلل من هذا الوثاق وهذا يعنى أن المشكلة ليست عاطفية وليست جنسية وإنما المشكلة هى الارتباط فى حد ذاته وما يفرضه من التزامات .

والخـوف من الزواج ليس كـرفض الزواج .. الرفض مـعناه

الاحجام .. معناه عدم الرغبة أو هو بسبب عدم الرغبة .. وقد يستطيع الإنسان أن يواجه نفسه ويتعرف على أسباب إحجامه .. قد يكون عدم الميل لحياة مشتركة مع إنسان أخر .. قد يتعود الإنسان على أن يعيش وحيداً بعد أن تأخر به سن الزواج لسبب ما فيصبح من الصعب عليه بعد ذلك أن يشارك شخصا أخر الحياة .

قد يكون هناك سبب آخر قوى وهو عدم الميل للجنس الآخر .. لا يستطيع الإنسان أن يتزوج إذا كان فاقداً للرغبة فى الجنس الآخر .. هذه الرغبة فى العادة هى التى تدفع الإنسان دفعاً للجنس الآخر وتشده للزواج .

وقد يكون لدى الإنسان ميل لنفس الجنس .. وفى هذه الحالة تنسد الطرق أمام الزواج .. والميل لنفس الجنس قد يأخذ صورة متكاملة أى شذوذا بينا وواضحا من خلال ممارسة فعلية أى ميل عاطفى وجسدى .. أو قد تكون الرغبة فى نفس الجنس ، منه فى اللاشعور دون أى ممارسة فعلية .. هذا الميل اللاشعورى يعوق أيضا الوقوع فى غرام إنسان من الجنس المخالف والزواج منه .

عدد ليس قليلاً من الناس لا يتزوجون .. وإذا فتشت فى تاريخ حياتهم لا تجد أى قصة حب .

إنهم يعانون نقصا فى الميل الطبيعى الفطرى الغريزى تجاه الجنس الآخر .. ويفضلون حياة الوحدة .. وهم بلاشك يستمتعون

بوحدتهم أو على الأقل لا يشكون منها .. البعض يقدم أعذاراً كالظروف الاقتصادية الصعبة أو الانشغال برعاية الأم أو تربية الأشقاء والشقيقات اليتامى ولكن هذه كلها أعذار قد تكون واهية .. فمن يريد أن يتزوج سيتزوج ولن يعدم وسيلة وسيدبر أموره وفق امكانياته وظروفه لأن الرغبة الطبيعية فى الحب والزواج تتغلب على أى ظروف .. ولذا فإن عدم الزواج عادة يكون لأسباب نفسية إما دفينة أو ظاهرة على السطح .. بعضها مرتبط بأسباب جنسية والبعض الآخر مرتبط بعدم قدرة الشخص على الحياة المشتركة مع إنسان آخر وعدم القدرة على تحمل المسئولية .. والطب النفسى لا يتقدم لمساعدة إنسان إلا إذا جاء بنفسه يشكو .

والطب النفسي يشجع على الحب والزواج .. فالحب ضرورة .. والزواج ضرورة .. ونقصد أنه ضرورة للتوازن النفسى وللسعادة الحقيقية فى الحياة .. وشعارنا أحبوا وتزوجوا تصحوا .

الحب المستحيل

أى حب حقيقى يقود إلى الزواج إذ إن كل محب يود أن يعيش كل حياته مع محبوبه ولا يرضى غير ذلك بديلا .. إلا أن إتمام الزواج قد يكون صعبا .. والحب المستحيل هو الذى يجعل الزواج صعبا أو مستحيلا .. والحب المستحيل قد يكون هو الحب المحرم أو الحب المجرم .. والفرق بين الحب المحرم والحب المجرم هو نقطة واحدة .. إلا أن كليهما مرفوض إما دينيا أو اجتماعيا .. كأن يحب إنسان شخصا آخر من دين مختلف أو قد يحب شخصا متزوجا .. والإدانة موجودة فى الحالتين تحريما وتجريما .

وفى المجتمعات ذات الأديان المتعددة قد يقع إنسان فى غرام إنسان آخر من دين آخر .. ومهما كانت درجة تسامح المجتمع على المستوى المدنى وسماحه بالزواج إلا أن الأديان لها موقف واضح صريح وقاطع فى هذا الشأن .. بل إن لعبة تغيير الأديان أو تغيير الملة داخل الدين الواحد قد تستغل للحصول على الطلاق .. كما أن تغيير الدين من أجل السماح بالزواج فهو محرم ومجرم فى كل الأديان .

إذا كان الأمر كذلك فلماذا يقع الإنسان فى حب إنسان من ديانة مختلفة ؟ وهل يستطيع الإنسان أن يوقف الاستطراد فى مشاعره منذ البداية ؟ كيف يمنع الإنسان نفسه من أن يحب إنسانا آخر له دين مختلف ؟ وهل اختلاف الدين يسبب فعلا إعاقة أمام تطور الحب ؟ وهل هذه الإعاقة بسبب الصعوبات المتوقعة أم أن اختلاف الدين فى حد ذاته يؤثر فى درجة التقارب والتواصل والامتزاج ؟

ولماذا يتمادى بعض المحبين فى مشاعرهم رغم اختلاف الأديان ؟ لماذا يسمحون لأنفسهم بهذا التمادى رغم علمهم بالصعوبات التى تجعل إتمام الزواج مستحيلا .. ؟ وما هى طبيعة هؤلاء الأشخاص الذين يتحدون كل شىء ويقدمون على

الزواج ؟ كيف يتحملون الإدانة المعنوية وكيف يتحملون مقاطعة الأهل ؟ وهل الحب أقوى من الإدانة والمقاطعة ؟ وهل يستمر هذا الحب بنفس القوة ؟ ألا يندمان يوما ؟ وما هى طبيعة الإنسان الذى هو على استعداد أن يغير من دينه لكى يتزوج من الإنسان الذى يحبه ؟ هل للطب النفسى كلمة هنا حول طبيعة هذه الشخصية ؟ وهل إذا غير إنسان ما دينه من أجل الزواج بإنسان آخر فهل هذا تغيير شكلى أم تغيير حقيقى من الأعماق مبنى على اقتناع بالدين الجديد .. ؟ هل هو تغيير حقيقى مع تغيير على الورق .. ؟ وهل الدين شىء مسجل فى الأوراق أو صفة يعرف بها أمإنه شىء مسجل فى الأعماق ملتصق بفكر ووجدان وفلسفة الإنسان مثل إلتصاق الجلد بالجسم .. ؟ هل يستطيع إنسان بسهولة أن ينزع جلده وأن يستبدله بجلد آخر ؟ هل يستطيع الإنسان أن يغير مبادئه وفلسفته وأسلوب حياته بسهولة ويتبنى موقفا مختلفا ؟ وهل الاختلاف بين الأديان هو اختلاف مبادىء ؟ هل هو اختلاف جذرى ؟ هل هو اختلاف فى الجوهر ؟ أم أن تغيير الدين ليس هو بالمشكلة الكبيرة التى تتطلب تغييرا جذريا فى أساسيات الفكر وطبيعة الوجدان وطريقة الحياة ومفهومها .. ؟ هل الأديان تبالغ فى محاسبتها وإدانتها لمن يغيرون دينهم .. ؟ هل من الممكن أن ينتقل الإنسان من دين إلى

دين أو من ملة إلى ملة بعيدا عن الحب والزواج وإنما لأسباب موضوعية بحتة ؟ وأى فروق موضوعية تلك التى بين الأديان التى تدفع إنسانا لأن يغير من دين إلى دين آخر .. ؟ وهل ارتفاع نسبة الذين يحبون ويتزوجون من غير دينهم تعنى أن التمسك بالأديان أصبح أقل أو أن الدين يأتى فى المرتبة الثانية بعد الحب .. ؟ ما هى نسبة انهيار زواج مختلفى الأديان ؟ أم هى زيجات ناجحة لأن أساسها الحب القوى الذى اجتاح أعتى العقبات ؟ أم أن المسألة فى الأصل تعود إلى حب المغامرة والاندفاع وعدم التروى وجذب الانتباه والمبالغة فى العاطفة ؟ أم أنه حب حقيقى له جذوره الممتدة فى الأعماق وله قواعده الثابتة وأنه كان من المستحيل ألا يتزوجا ؟

لا أدرى كم من الأسئلة طرحتها ولا أدرى كم منها أستطيع أن أجيب عليه !! وهل إذا حاولت أن أجيب عليها ستأتى إجاباتى من خلال المنظور الدينى أم منظور علم النفس أم من المنظور الشخصى البحت .. ؟ إذن من الممكن أن يكون للإنسان الذى يحاول أن يجيب على هذه الأسئلة ثلاثة وجوه : وجه دينى وذلك حسب درجة إيمانه وحسب درجة خشيته من لوم القائمين على الدين ووجه آخر وهو وجه العلم والعلمانية مدعيا الموضوعية ووجه

ثالث إذا أراد أن يكون صادقا مع نفسه حسب قناعاته الشخصية .. أم الأفضل أن نهرب من كل هذه الأسئلة وما قد تجره الإجابة عليها من متاعب ونسأل بدلا منها سؤالا شاعريا يقول : هوه صحيح الهوى غلاب !! وكما تعرفون أن الشاعر أجاب بأنه لا يعرف .. ومن قال لا أعرف فقد أفتى .

مستوى حبيبى : أقل !!

بعض الناس يدعـــون ـ وقـــد يكونون على حق ـ أن الحب الحقيقى يقهر أى عقبات ويملأ أى فجوات ويلغى أى اختلافات ويقـرب أى تبـاعـد فى المسـافـات والمسـتـويات والدرجـات .. وأن منتـهى أمل من يحب أن يعيش مع مـحبوبه مـهمـا كانت الفروق على كل المسـتويات التعليمية الثقافيـة أو المادية الاجتمـاعية أو العمرية .. وبعض هذه الفروق كمى بحت مثل الفرق فى العمر ودرجة التعليم والمستوى الاقتصادى والبعض الآخر من الفروق يطلق عليه الفروق الكيفية أو النوعية مثل الفروق الثقافية والفروق الاجتماعية .. وهذه تقسيمة أدعى أنى صاحبها رغم أنها بديهية وشديدة الوضوح لمن يتأمل فى الموضوع .

فهل ينتصر الحب على هذه الفروق سواء إذا كانت كمية أو كيفية أم أنه يتأثر سلبيا حين تكون هناك معايشة مستمرة ومواجهة يومية ؟

هل الأمر يحتاج إلى دراسة ذات منهج علمى تفحص درجة تكيف ونجاح أو فشل الزيجات ودرجة تأثر الحب سلبا أو إيجابا فى ظل وجود هذه الفروق ؟ أم أنه تكفى الانطباعات الشخصية والرؤية الذاتية والمعايشة المباشرة لبعض الحالات ؟

لاشك أن المنهج العلمى سيجعلنا نضع يدنا على الحقيقة بدرجة أكثر دقة .. إلا أنه لم يثبت بشكل قاطع أن المنهج العلمى فى الدراسات الإنسانية قادر على أن يعطينا حقائق مؤكدة مثلما هو قادر وبشكل دقيق أن يعطينا نتائج صحيحة إذا طبقناه فى الأبحاث المتعلقة بالكيمياء أو الفيزياء ، وذلك لأنه منهج ميكانيكى غير مرن يلزمنا بقواعد ثابتة حتى تكون النتائج موضوعية غير قابلة للتشكيك .

قد يكون هذا غير مفيد أو غير مطلوب فى الدراسات الإنسانية حيث يجب أن تدرس كل حالة على حدة .. فالتاريخ الشخصى لأى إنسان يختلف عن التاريخ الشخصى لإنسان آخر وهو يتناول الظروف التى أحاطت به أثناء الحمل وأثناء ولادته وظروف تربيته

وتنشئته والمؤثرات التى أسهمت فى بنائه الفكرى والنفسى والوجدانى والعقبات والصعوبات والصدمات التى تعرض لها وتركت أثرا يسمى أحيانا بالعقدة النفسية ثم حالته الصحية العامة ثم درجة تعليمه وثقافته والطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها ومستواه الاقتصادى .. وبذلك يصبح من الصعب التعميم فى الدراسات الإنسانية .

فهل مثلا نستطيع أن تخرج من دراسة ما بنتيجة مؤداها أنه كلما زاد الفرق العمرى بين الرجل والمرأة قلت أو انعدمت فرص نجاح هذا الزواج ؟ هنا قد يسأل سائل عن المكان الذى تمت فيه هذه الدراسة ليتعرف على ثقافة هذا المكان ودرجة تأثير هذه الثقافة على مفهوم الزواج وقد يسأل عن جوانب أخرى بالإضافة إلى عامل العمر مثل درجة الثقافة والمستوى الاقتصادى .. ثم يسأل عن درجة الاختلاف بين تقدم عمر الرجل وزواجه من امرأة صغيرة أو تقدم عمر المرأة وزواجها من شاب صغير .. إذن نحن أمام عوامل أخرى متعددة لا تجعل عامل السن محددا بشكل قاطع ونهائى .. درجة التكيف والنجاح فى الحب والزواج فى حالة وجود فرق عمرى كبير بين الرجل والمرأة .

بعض هذه الزيجات ناجحة والبعض الآخر فاشل .. والإدانة

الاجتماعية للمرأة المتقدمة فى العمر التى تتزوج رجلا يصغرها بكثير هى أكثر من إدانة الرجل الكبير الذى يتزوج من فتاة صغيرة . فى كثير من المجتمعات تقدم عمر الرجل لا يسبب مشكلة كبيرة وخاصة إذا كان هناك جوانب أخرى تعويضية كاحتفاظه بصحة جيدة أو لديه مال كثير أو مكانة اجتماعية مرموقة .. وهذا يجعلنا ندعى أن الفروق الكمية قد لا تهم كثيرا إذا كان هناك عوامل أخرى تعويضية على المستوى الكمى أيضا .. فالفرق فى العمر يعوضه المال أو السلطان .

ولعل ضعف إدانة الرجل الكبير الذى يتزوج من فتاة صغيرة يرجع إلى أن ذلك لا يعوق الإنجاب بينما زواج المرأة الكبيرة من شاب صغير يقلل من فرص الإنجاب وحرمان هذا الشاب من الأبوة .

ولعل الأوضاع الاقتصادية قد تكون وراء سبب ارتفاع نسبة الزواج بين طرفين بينهما فرق عمرى كبير .. فالفتاة الفقيرة الصغيرة قد تتطلع إلى حياة مستقرة ومرفهة اقتصاديا والتى لا يستطيع أن يوفرها لها إلا رجل متقدم فى العمر .. وكذلك الشاب الفقير قد يكون الزواج من امرأة متقدمة فى العمر هو الفرصة الوحيدة المتاحة له للزواج.

وإذا كان الدافع الاقتصادى وراء زواج الأفقر والأصغر فما هى دوافع الأكبر والأغنى فى الزواج بمن يصغره ؟ هل هى دوافع جنسية محضة أم قد تكون عواطف طبيعية نبيلة أم أن هذا الزواج هو تكرار لعلاقة الابن بالابنة وعلاقة الأم بالابن أم أنها زيجات تتسم بشكل طبيعى لا يحتاج إلى أن نجهد أنفسنا فى البحث عن أسباب ومبررات.

وبغض النظر عن الدوافع ، وحتى إذا كانت مقبولة ومشروعة اجتماعيا هل فرص التوافق الزواجى تختلف عن توافق القريبين فى العمر ؟ وهل درجة هذا التوافق تتوقف على مدى التعويض الذى يتلقاه الأصغر سنا ؟وهل نظرية الفروق الكمية التى تحتاج إلى تعويض كمى فى مجالات أخرى صحيحة ؟ وما هو النقص الذى يشعر به الشخص الأصغر سنا ؟ ماذا يفتقد ؟ هل يفتقد مصاحبة شريك فى نفس عمره ؟ هل يفتقد الفكر المتقارب ؟ هل يفتقد الاهتمامات المشتركة ؟ هل يكون هناك نقص فى الإشباع الجنسى ؟ وهل وجود نقص فى أحد هذه الجوانب أو وجودها مجتمعة يؤثر على التوازن النفسى للشخص الأصغر سنا ؟ هل يؤثر على درجة سعادته ورضاه ؟

بعض هذه الزيجات ناجحة .. والبعض الآخر يتعثر .. ومن

خلال المعايشة الاكلينيكية المباشرة وجدت أن التعثر يحدث إذا كـان هذا الزواج مـخططا له .. أى إذا تم بناء على نظرية السوق .. أى مقايضة .. اى شىء مقابل شىء .. أى إذا كانت فيه شبهة تجارية متعمدة .. أى إذا سأل الأصغر سنا نفسه : ماذا سأحصل من مقابل أمام تضحيتى ؟ .. أى إذا نظر الأصغر سنا إلى الأمر على أنه تضحية .. وهذا معناه أنه إذا حصل على أقل من توقعاته أو إذا خابت كل توقعاته فإنه سيتذمر ويتمرد وسيشعر بالغبن والظلم مما يؤثر على إحساسه بالسعادة ثم يؤثر على سلوكه تجاه الطرف الآخر مما يؤثر فى النهاية على درجة التوافق الزواجى .. وأخيرا يزوران العيادة النفسية ...

أما إذا كان هناك حب سابق على الزواج فإن الأمور تسير إلى الأفضل .. وهذا يجعلنا نسأل هل من الممكن أن يكون هناك حب وتفاهم بين اثنين متباعدين فى العمر .

الإجابة : نعم .. والأمر هنا ليس له علاقة بالتعويض الكمى ولكن له علاقة بدرجة النضج والوعى والثقافة .. أى يكونان متقاربين فى الجانب الفكرى وفى الميول الوجدانية وأن يكون بينهما اهتمامات مشتركة .. وهذا معناه أن يكون الطرف الأصغر سابقا عمره أى متمتعا بدرجة عالية من النضج تسمح له

بالانسجام مع الطرف الأكبر الذى يكون عادة على مستوى ثقافى أرفع .

أفضل عامل يقرب المسافات بين الناس هو التقارب الفكرى .. ولا يقل عنه أهمية التقارب الوجدانى بشرط نضج الوجدان .. فإذا اجتمعا معا فيسمى بالتقارب الثقافى وهو قمة التقارب بين شخصين وذلك يسمح بالحب الطبيعى والزواج الموفق .. هناك تقارب آخر على مستوى آخر غير مرئى وغير محدد الهوية ويمكن تسميته بالتقارب الروحى وذلك حين تتآلف روح إنسان مع روح إنسان آخر دون أسباب محددة .. وربما يحدث هذا حينما يكتشف إنسان مدى طيبة الإنسان الآخر فيشعر معه بالطمأنينة والسلام وهى أقصى درجات الارتياح النفسى .. ومن بعدها تندلع شرارة الحب والذى يقود حتما إلى الزواج .

● ● ●

والفروق فى مستوى التعليم قد ينظر إليها على أنها فروق كمية . فيقال مثلا إنها حاصلة على شهادة جامعية وهو حاصل على شهادة متوسطة .. إلا أنه ليس خافيا على أحد أن التعليم يحدث تغييرا فى طريقة التفكير وأسلوب الحياة مما يمثل عائقا فعليا فى طريق الحب والزواج .. والأكثر أهمية هى الثقافة والتى

تشكل فرقا كيفيا خطيرا يخلق اختلافا بيِّنا وبين شخص وشخص آخر ينعكس على مفاهيمه وفلسفته ورؤيته للحياة وأسلوب حياته وموقفه من المبادىء العامة التى تحكم سلوك البشر والمبادىء الخاصة التى تحكم علاقة إنسان بإنسان آخر .. هنا يستحيل أى تمازج بين اثنين بينهما فروق ثقافية جمة .. لأن من طبيعة الحب التمازج .. والتمازج يكون بين فكر وفكر وبين وجدان ووجدان .

الهوة الثقافية من الصعب تجاوزها .. ومن الصعب أن يبدأ حب بين اثنين بينهما هذه الهوة .. وإذ تم زواج فإن فرص فشله عالية .. ربما ينطبق هذا التحليل إلى حد كبير حين توجد هوة اجتماعية .. أى يجىء الاثنان من مستويين اجتماعيين مختلفين اختلافا شديدا .. وهو بلاشك اختلاف طبقى .. وكل طبقة اجتماعية لها ثقافتها الخاصة والتى تذود عنها والتى لا تسمح لأحد بالاقتراب منها ونقدها أو تجريحها .. وكل إنسان يتوحد مع طبقته الاجتماعية .. وهذا هو الإنسان السوى .. أما الإنسان الذى يحاول أن يتنصل من طبقته الاجتماعية فإنه يعانى نقصا واهتزازا وعدم ثقة بالنفس بالإضافة إلى مشاعر المرارة والحقد والتى قد يتولد عنها سلوك عداونى تدميرى .. بالإضافة إلى

عمليات الإسقاط اللاشعورى إذ يسقط نواقصه وعيوبه وعقده على الطرف الآخر الذى جاء من طبقة اجتماعية أعلى .. إن بعض أسباب العداء المستتر بين الزوجين يرجع إلى أن أحدهما يشعر بأنه أقل أو أدنى اجتماعيا من الآخر .. ويشكل ذلك لديه نقطة ضعف تكون شديدة الحساسية .. أما الطرف الآخر الأقوى فإنه إذا كان ردئ النفس فإنه سيضغط أكثر وأكثر على هذه البؤر الحساسة ليستثيرها ويحدث ألما شديدا فى الطرف الآخر ويزيد الأمور اشتعالا مما يتولد عنه العداوة والكراهية .

ولا يوجد أى شىء يعوض الهوة الثقافية أو الهوة الاجتماعية .. لا المال .. ولا السلطان .. ومعظم حالات عدم التوافق الزواجى وما يستتبعها من تعاسة واكتئاب يكون بسبب وجود إما الهوة الثقافية أو الهوة الاجتماعية .. ونادرا ما نصادف حالات عدم توافق زواجى بسبب الهوة العمرية أو المادية .

إذن نستطيع أن نقول فى النهاية أن الفروق الكيفية ليست ذات أثر كبير على التوافق الزواجى .. وإنما الأثر التدميرى يكون بسبب الهوة الثقافية والاجتماعية .

وإذا أردنا أن نطلق قولا مأثورا ندعيه لأنفسنا فإننا نقول :

تقاربوا تحابوا .. وتحابوا تصحوا

• العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
• البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org

رقم الإيداع
٢٠٠١/١٣٠٣٣
الترقيم الدولى
977 - 08 - 1009 - 6